ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1041 - الجمعة 12 رمضان 1424 هـ - الموافق 7 نونبر 2003

بسم الله الرحمن الرحيم

ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن

صدق الله العظيم

أمير المؤمنين يترأس انطلاق الدروس الحسنية الرمضانية لعامه 1424

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية يقول في درسه : آن الأوان لتحيين شروط الناهين عن المنكر وصفات المنهيين والأمور التي يتم النهي عنها في دولة العدل والمؤسسات

ذكرى المسيرة الخضراء

كلما أحلت ذكرى المسيرة الخضراء التي من ابتكار العبقري النادر مثله في الحكمة والوطنية والحنكة وقوة الإيمان الموحد الباني جلالة المغفور له الحسن الثاني طيب الله تراه إلا وملأ نفوس المغاربة اعتزاز بهاته الذكرى المظفرة التي توجت مسيرات جهادية قام بها العرش العلوي المجيد والشعب المغربي الوفي لصد العدو عن هذا الوطن الغالي... فلقد تكالب على هذا البلد الأمين أطماع الغزاة واستعملوا كل الوسائل الماكرة لتشرذمه وتشتته واستعماره واستخدم المستعمر لهذا الغرض العدواني كل إمكاناته المتنوعة لكن العرش والشعب كان لتلك المحاولات التي يقوم بها المعتدي الظالمة بالمرصاد والمسيرات الجهادية التي لبست ألونا من العمل المناهض للوجود الاستعماري قبل الحماية وفي أثنائها وبعدها أقضت مضجع المتهافتين على احتلال الوطن المغربي... ولا غرابة في ذلك. فلقد عرف المغربي ببطولته وقوة إيمانه ودفاعه المستميت عن ثوابته ومقدساته... وعلم ذلك كل من خولت له نفسه التسلل لغزو هذا البلد الأمين على ممر التاريخ... المغربي...

لقد كتب نضال العرش والشعب عن الوطن والمواطنين بمداد من الفخر والاعتزاز ولا ينكر ذلك إلا من يحاول يائسا تغطية الشمس بالغربال... إن دم العروبة وأمازيغ اللذان يجريان في ولد المغرب الأقصى لا يرضى بالخنوع ولا بالذل والهوان... ولا يقدر أي كان أن يركع أبناء هذا الوطن العزيز الذي يقوده عرش علوي عظيم مجاهد يدافع دوما وأبدا عن العدل والمشروعية ولا يعتدي على أي كان ولا يقبل الاعتداء عليه ولا يرضاه ويعمل على دفع الظالم وإغاثة المظلوم... إن مسيرات التضحية التي سجلها التاريخ لأمتنا عن هذا الوطن كثيرة وكتب لها أن كللت بالنجاح... في شمال المغرب وجنوبه وشرقه وغربه... ولم تأخذ أبناء هذا البلد العزيز لومة لائم في القيام بواجبهم عن الذب عن الوطن وجزر عدوه والحفاظ على وحدته الترابية والبشرية بقيادة العرش العلوي المجيد. بالرغم من كيد الكائدين ومؤامرات المتآمرين فعندما أعلن المغفور له المجاهد الأكبر جلالة محمد الخامس طيب الله ثراه ثورته على معاقل الظلم والطغيان سنة ١٩٥٣ أشعلها المغاربة نار دفاع عن حوزة المغرب جنوبا وشمالا وشرقا وغربا حتى رجع المغفور له منتصرا من منفاه السحيق الذي أقدم عليه المستعمر الفرنسي ظلما فنفى الملك المجاهد وأسرته المالكة المجاهدة العظيمة وبمعيته في هذا النضال المشرف رفيقه في الكفاح وساعده الأيمن وولي عهده آنذاك جلالة المغفور له الحسن الثاني طيب الله ثراهما فكان لهذه الثورة الناجحة العادلة التي قام بها العرش والشعب أكبر نجاح وأعظم صدى وكانت ثورة على المستعمر في جميع شعوب إفريقيا ففتحت الباب الذي كان مسدودا ردحا من الزمن عن عدة أماكن مضطهدة وخرج من بابها الواسع جماهير لساحة الحرية والاستقلال طالما تاقت نفوسها للانعتاق من ويلات المستعمر...

فضيلة الشيخ ماء العينين لارباس

النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب

(تابع ص. 2)

مسؤولية الآباء في التوجيه الإيماني للأبناء التربية على الدين

في الحلقات الخمس الماضية جرنا الحديث عن دور الاباء في تربية الأبناء على الإيمان والإسلام والإحسان انطلاقا من الآية القرآنية الكريمة: "والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم فوجدنا فيها الأنوار المشرقة لتربية الأبناء على مقتضى أحكام الدين وماسيستفيده الأبناء من هذه التبعية الإيمانية يوم الحساب وفي الحياة الدنيا قبل ذلك.

وخريطة هذه التربية واسعة في بعض الأحيان لانجد لها حدودا معينة لان الفضاء الإيماني يبقى مفتوحا لكل الايجابيات التي تنفع في الدنيا والآخرة، سواء في المجال الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي أو الأسري.

واستمرار الشعور بهذه المسؤولية من طرف الآباء يجعل من الآية القرآنية التي وضعناها مصباحا لهذه السطور أداة لحسن التصرف ولمنهجه الديني ومسطرته التطبيقية.

فأبناء المومنين يولدون على الفطرة الإيمانية، وإذا كانت الأسرة على وعي كاف بآداب التربية فإن أول مايسمعه الطفل بعد خروجه للدنيا. وحمله بين يدي والده هو الآذان لاشعاره بأنه ازداد على منهج الدين الإسلامي فيسجل في طاقته السمعية كلمات الله أكبر أشهد أن لاإله إلا الله أشهد أن محمدا رسول الله حي على الصلاة حي على الفلاح الله أكبر لا إله إلا الله. هكذا يختم على قلبه وسمعه بهذه الشهادة فيعيش على نغمات كلماتها وأبعاد مدلولاتها المنطوقة والمفهومة الصريحة والضمنية، فتكون له مصابيح تنير له الطريق المستقيم ويمكن أن نضع سؤال على أنفسنا ونحن أمام هذه المسؤولية الكبيرة للاباء، من أين نبدأ في هذا البرنامج التربوي للأبناء؟(لأمر بسيط نسبيا، فالرجل عليه أن ينطلق من بداية الطريق، وهو اختيار الزوجة ذات الدين، كما أوصانا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا كانت الأم على خلق صالح فإن ذلك يكون الاداة الأولى للتبعية الإيمانية بين الاباء والأبناء والمفتاح الذي يؤدى إستعماله في المكان والزمن المناسب إلى عدم الوقوع في حوادث السير للأبناء سواء في مرحلة الطفولة أو المراهقة أو الشبابية ومابعدها.

ففي الجانب الاقتصادي ناخذ إحدى صفات عباد الرحمان بالاعتدال في الانفاق "والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا كما يقول الله عز وجل، فإذا غرسنا في قلوب الأبناء هذه النبتة الرحمانية والوصية الربانية نكون انطلقنا بهم في سلوك إسلامي نموذجي.

والاعتدال في الانفاق ليس خلقا خاصا بالابناء، ولابالاسر وحدها، ولكنه منهج إذا تربى عليه الإنسان نفعه في حياته الخاصة وفي علاقاته العامة، بل أن التربية على الاعتدال في الانفاق تنفع المجتمع، وتنفع الشعوب وتفتح الآفاق للانتقال بالأمم من حالة الفقر إلى حالة القناعة والغنى بعدها ومن حالة المرض إلى حالة الصحة في الميدان الاقتصادي والتنموي، وتكون التربية على الاعتدال في الانفاق في الحلقة الصغيرة البيت، أو في الدائرة الكبيرة الجماعة أو المدينة أو الدولة لها فائدة وذات مصلحة لاحدود لها في مسيرة الإنسان الخاصة أو العامة.

وفي العلاقات الاجتماعية بين الأطفال أو بين الشباب في المدرسة أو الجامعة أو في الشارع العمومي، نغرس في قلوب الأبناء معاني العفو والتسامح والصفح انطلاقا من إحدى صفات عباد الرحمان كذلك وهي قول الله تعالى: "وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما" فالتربية على الإيمان تسير على منهج السلام "قالوا سلاما" وهذا وسام عندما يحمله الإنسان يغرس فيه كل معاني الرحمة والتسامح والعطف، ويجعله في مقام عالي في عيون الناس، بل ويكون قدوة لغيره في الانحياز نحو فريق العفو والصفح.

ومن المظاهر الاجتماعية التي يجب أن نربي عليها أبناءنا حب الخير للغير، وهي وصية عظيمة من رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال :لايكون المومن مومنا حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه فحب الخير للبشر عامة بدون حدود له دور كبير في تبيت جدور الإيمان في القلوب أو غرس معاني المودة والرحمة في الصدور.

وفي الجانب الثقافي نحاول أن نلق الأبناء كيف يتعلمون على صفاء الوجدان ونقاء الضمير ، والجرأة في الحق، والصدق في التوجيه والاخلاص في القول.

فهذه بعض الصفحات من الجوانب الإيجابية للتربية على الدين، وهناك جوانب سلبية نعمل على أن تكون بعيدة من سلوكهم، فبغض الشر والظلم والطغيان والخيانة والغدر والاستغلال والوساية والنميمة والنفاق والانتهازية والنذالة والتعصب، نعم علينا أن نتعلم معاني هذه الصفات لنتجنبها في حياتنا الاجتماعية مع الجميع.

هذه بعض المصابيح تعرض في هذا الركن من جريدة ميثاق الرابطة وتلتقي في العدد المقبل إن شاء الله..

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام ـ رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرعي

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

الحافظ ابن عبد البر لايجيز تكفير أحد من المسلمين

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ لقد تجرأ بعض من يدعي العلم على تكفير بعض المسلمين بسبب ذنب ارتكبه، أو سوء سلوك صدر عنه، وهذا مالا يقره كبار علماء المسلمين المشهود لهم بالعلم والتضلع فيه، لقد أكد الإمام ابن عبد البر أنه لايجوز تكفير المسلم وإخراجه من الدين لمجرد ذنب ارتكبه، أو تأويل تأوله، وبسط القول في ذلك في كتابه«التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، انطلاقا من الحديث الذي رواه مالك بن أنس إمام المذهب عن عبد الله بن دينار، عن عبد الله بن عمر، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما".

وثق ابن عبد البر الحديث، ورفعه من عدة طرق، بعضها بسنده المتصل عن شيوخه من الأندلسيين إلى مالك، ثم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ولفت ابن عبد البر النظر إلى أن المعنى في هذا الحديث الذي رواه مالك عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر، أن معناه عند أهل السنة والجماعة، أهل الفقه والأثر، النهي أن يكفر المسلم أخاه المسلم، بذنب أو تأويل لايخرجه من الإسلام، والمعنى من قوله صلى الله عليه وسلم: "فقد باء بها أحدهما " عند ابن عبد البر أن المراد من ذلك، أن القول له ياكافر إن كان كذلك ، فقد احتمل ذنبه، ولاشيء على القائل له ذلك، لصدقه في قوله، فإن لم يكن كذلك فقد باء القائل بذنب كبير، وإثم عظيم، وهذا غاية في التحذير من هذا القول، والنهي عن أن يقال لأحد من أهل القبلة ياكافر" وأتى بعدة أحاديث تحذر المسلم من اتهام المسلم الآخر بالكفر، أو بالفسوق، وقال مثل هذا الحديث قوله صلى الله عليه وسلم "سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" وقوله صلى الله عليه وسلم: "لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض" والحديث الأول من الحديثين رواه الستة إلا أبا داود، والثاني منهما رواه الجماعة إلا أبا داود أيضا، ويسترسل ابن عبد البر في إيراد الأحاديث المانعة من اتهام أحد المسلمين بالكفر، ويؤكد أنه وردت في هذا الموضوع أحاديث كثيرة ثابتة من جهة الإسناد، يقول: نذكر منها ها هنا ما فيه الكفاية" (التمهيد 17:15)وبعد ذلك يقول: وقد ضلت جماعة من أهل البدع في هذا الباب، فاحتجوا بهذه الآثار، على تكفير المذنبين، واحتجوا من كتاب الله بآيات ليست على ظاهرها، مثل قوله عز وجل:"ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" وقد ورد عن ابن عباس أنه قال: "ليس بكفر ينقل عن الملة" أي يخرج صاحبه من ملة الإسلام، وأتى بعد ذلك بمجموعة من الآيات أولها بعضهم تأويلا خاطئا، وأسرع إلى تكفير المسلمين. وأورد آيات أخرى يفهم منها وجوب التروي والتثبت قبل اتهام أحد من المسلمين بالكفر.

ويذكر ابن عبد البر أن الشريعة الإسلامية بدل أن تكفر المذنبين شرعت حدودا طهرة لهم، وفرضت كفارات من الذنوب، واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم "من أقيم عليه الحد فهو له كفارة ، ومن لم يقم عليه فأمره إلى الله، إن شاء غفر، وإن شاء عذبه" وما لم يجعل الله فيه حدا فرض فيه التوبة من الذنب.

ويؤكد ابن عبد البر أنه ليس في شيء من السنن المجمع عليها مايدل على تكفير أحد بذنب، ويقول: جاءت السنة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن العقوبات على الذنوب كفارات... ويستدل بأدلة فقهية فيقول:"أجمع علماء المسلمين أن الكافر لايرث المسلم، وأجمعوا على أن المذنب، وإن مات مصرا على ذنبه يرثه ورثته، ويصلى عليه، ويدفن في مقابر المسلمين...ثم انتقل إلى نوع آخر من الأدلة فقال: "قال صلى الله عليه وسلم: "الندم توبة" رواه عبد الله بن مسعود، وقال صلى الله عليه وسلم:"ليس أحد من خلق الله إلا وقد أخطأ، أو هم بخطيئة إلا يحيى بن زكرياء"وقال صلى الله عليه وسلم: لولا أنكم تذنبون وتستغفرون لذهب الله بكم، وجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر لهم، إن الله يحب أن يغفر لعباده" وبعد ما أتى بعدة نصوص ثابتة قال: "فهذه الأصول كلها تشهد أن الذنوب لايكفر بها أحد" ويضيف قائلا: وهذا يبين لك أن قوله صلى الله عليه وسلم "من قال لأخيه ياكافر، فقد باء بها أحدهما" أنه ليس على ظاهره، وأن المعنى فيه النهي على أن يقول أحد لأخيه: كافر ، أو يا كافر" ويستمر ابن عبد البر في تعزيز ماذهب إليه من أنه لايكفر أحد بذنب، فيقول: "ومن جهة النظر الصحيح الذي لامدفع له، أن كل من ثبت له عقد الإسلام في وقت بإجماع من المسلمين ثم اذنب ذنبا، أو تأول تأويلا، فاختلفوا بعد ذلك في خروجه من الإسلام، لم يكن لاختلافهم بعد اجتماعهم معنى يوجب حجة، ولايخرج من الإسلام المتفق عليه إلا باتفاق آخر، أو سنة ثابتة لا معارض لها، وقد اتفق أهل السنة والجماعة على أن أحدا لا يخرجه ذنبه وإن عظم من الإسلام... وفي معالجته لحديث الموطأ السالف الذكر، أتى بمجموعة من الأحاديث في معنى الحديث الذي رواه مالك عن عبد الله بن دينار، وساق أحاديث أخرى تساندها، وتعززها، ومنها مارواه بسنده عن بريدة أنه قال: "حدثني يحيى بن يعمر أن أبا الأسود الدئلي حدثه عن أبي ذر أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "لايرمي رجل رجلا بالفسق، أو بالكفر، إلا ردت عليه إن لم يكن صاحبه كذلك" وروى حديثا آخر بسنده إلى ثابت بن الضحاك قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من رمى مؤمنا بالكفر فهو كقتله" وجاء في التعليق على هذا الحديث: (رواه الترمذي من حديث هشام بن عامر) ويواصل ابن عبد البر الاحتجاج لمذهبه، فيقول: "حدثنا أحمد بن قاسم، وعبد الوارث بن سفيان، قالا: حدثنا قاسم بن أصبغ ، قال: حدثنا الحارث بن أبي أسامة، قال: حدثنا أبو عمر وعبيد بن عقيل قال: سمعت جرير بن حازم يحدث عن عبد المالك بن عمير عن جابر بن سمرة، عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، من سرته حسنته، وساءته سيئته فهو مؤمن" جاء في التعليق : (رواه الطبراني من حديث أبي موسى، انظر الجامع الصغير بشرح فيض القدير: 6:152) واستنباطا من هذا الحديث يقول ابن عبد البر: فليت شعري من قال لأخيه : ياكافر، وهو ممن تسره حسنته، وتسوءه سيئته، لاي شيء تكون الشهادة عليه بالكفر أولى من الشهادة عليه بالإيمان، ويستعمل ابن عبد البر الاستدلال العقلي، مستوحيا منطوق الحديث، ثم يتابع كلامه قائلا: روى الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"من عمل مثل قراب الأرض خطيئة، ثم لقيني لايشرك بي شيئا جعلت له مثلها مغفرة" ثم يقول: رواه شعبة عن واصل عن المعرور بن سويد قال: سمعت أبا ذر يقوله، فهو يعدد طرق الحديث ثم يأتي بحديث آخر عن أبي سعيد الخدري يقول: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن بين يدي الرحمن للوحا فيه ثلاثمائة وخمس عشرة شريعة، يقول الرحمن: وعزتي لايأتيني عبد من عبادي بواحدة منها، وهو لايشرك بي شيئا، إلا أدخلته الجنة" وينتهي به الاستدلال إلى هذا الحديث، يقول: هو من أصح حديث يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعليه أهل السنة والجماعة، وهو يضاهي قول الله عز وجل: "إن الله لايغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء"(النساء/48) يقول: الآثار في هذا الباب كثيرة جدا، لايمكن أن يحيط بها كتاب، فالأحاديث اللينة ترجى، والشديدة تخشى، والمؤمن موقوف بين الخوف والرجاء، والمذنب إن لم يتب في مشيئة الله، روينا عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه أنه قال: إن الله لايغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن شرح الله صدره فالقليل يكفيه".

ونستخلص مما لخصناه، وعرضناه من كلام ابن عبد البر، ومن النصوص التي أوردها، واستدل بها، واستنبط منها، أن الإقدام على تكفير المسلم مناف للدين، ومجاف بروح الشريعة ومقاصدها، وأنه منهي عنه شرعا، ومن فعل ذلك فقد باء بإثم عظيم، وذنب كبير، وقد احتمل بهتانا وإثما مبينا، ومنكرا من القول وزورا، وهو بتكفيره لمن يعتقد أنهم مذنبون يفتح أبوابا من الفتن، وموقظ الفتن ملعون والعياذ بالله.

ونستخلص من كلام ابن عبد البر كذلك، أن المبادرة بتكفير المسلمين ليست من مذهب العلماء المقتدى بهم، الذين درسوا النصوص الشرعية وأدركوا منطوقها، ومفهومها، وأن تكفير المسلم لمجرد مخالفة في المذهب أو الرأي، دليل على الجهل بالدين، وعلى ضيق الأفق الفكري، وعلى مخالفة ماجاءت به الشريعة السمحاء، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يقول: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين" ومعناه أن المكفرين لإخوانهم من المسلمين بعيدون عن هذه الخيرية كل البعد، والفقه في الدين له أصوله وقواعده ومنهجه...

ونختم هذه الجولة مع ابن عبد البر في كتابه التمهيد بقول الله تعالى في الآية الثالثة والخمسين من سورة الزمر: "قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ،إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم" صدق الله العظيم.

(تتمة ص:1)

فحرر المغفور له وأسرته المجاهدة والشعب المغربي الثائر على الظلم البعض من شمال أجزاء هذا الوطن سنة 1955 و 1958 حررت منطقة طرفاية وبقيت مناطق منها سيدي إيفني والساقية الحمراء ووادي الذهب من جنوب المغرب فبعد المعارك الطاحنة التي خاضها جيش التحرير المغربي بقيادة العرش العلوي المنيف وتحرير المناطق التي أسلفنا ذكرها في عهد المغفور له المجاهد الأكبر جلالة محمد الخامس طيب الله ثراه أبى وارث سره ورفيقه في الكفاح الموحد الباني جلالة المغفور له بكرم الله الحسن الثاني رضي الله عنه وأرضاه أبى إلا أن يواجه صلف المستعمر وظلمه وجبروته بإيمان الواثق من نفسه والمعتمد على الله وإخلاص شعبه المغربي الذي عرف بالوفاء والشجاعة وإباء الضيم حتى حرر سيدي إيفني وضواحيه من المستعمر الإسباني سنة 1969 واستمر كعادته في مواجهة العدو بشتى وسائل الدفاع المشروعة لاستكمال الوحدة.. ولقد تغلب بحنكته وحكمته المعهودة فيه وبعد نظره الصائب وإيمانه بحقوقه المشروعة وإصراره على عدم تنازله عن حبة رمل من رمال هذا الوطن الغالي تغلب بقوة الله وإرادته وبما أومأنا إليه من خلال حميدة أودعها الله في جلالته على المستعمر الاسباني وأعوانه والمتآمرين معه فحقق الوحدة المنشودة لهذا الوطن بإعلانه عن مسيرة سلمية سلاحها القرآن والدفاع عن الحق، والإيمان بمشروعية الطلب كانت جماهير المسيرة الخضراء عند انطلاقها لاقتحام الحدود الوهمية لاسترجاع صحرائنا وتحريرها من قبضة المستعمر الإسباني تلوح بأعلام خضراء إشارة للسلم وبأعلام وطنية تتوسطها النجمة الخضراء وكانوا يرفعون كتاب الله وكان أصحاب المسيرة مومنين بأن أسلحتهم هذه السلمية أمضى وأفتك من غيرها من الأسلحة المادية الفتاكة المدجج بها العدو، ولقد شاهدت وأنا أحد المشاركين فيها حمدا الله حماس جماهيرنا المشاركين في المسيرة من نساء ورجال وتيقنت أن إرادتهم الصلبة ودفاعهم الصادق عن استكمال الوحدة أقوى مما شاهدناه من قوة المستعمر المادية الظالمة لأن الأمة المغربية تدافع عن حق في استكمال الوحدة الترابية والبشرية قيادة وشعبا والحق يتغلب على الباطل، وكان مبدع المسيرة الخضراء جلالة المغفور له الحسن الثاني أعطى تفاصيل عن كيفية تكوين هذه المسيرة من بداية التفكير فيها حتى برزت للعالم وأعطت ماكان ينتظر منها من تحرير الصحراء واستكمال الوحدة بأسلوب سلمي حضاري أدهش العالم ظهوره وانتصاره بالرغم مما حيك ويحاك ضد وحدتنا الترابية حسدا وظلما.

ولا بأس أن أسوق للقارئ البعض مما قاله جلالة المغفور له الحسن الثاني في كتابه التحدي عندما تحدث عن المسيرة الخضراء والصحراء المسترجعة الصفحة 69 - 70 قال رضي الله عنه: (وفي الواقع فإن محكمة العدل الدولية في لاهاي والتي كنا قد طلبنا منها التحكيم اعترفت في أكتوبر 1975 أن الأراضي الصحراوية التي تحتلها إسبانيا لم تكن عند استعمارها أرضا خلاء لا صاحب لها ولكنها وأنقل عن هذه المحكمة ما قالته حرفيا: "كانت بين الصحراء والمملكة المغربية روابط قانونية وروابط ولاء".

ومعنى ذلك أن سكان هذا الاقليم الصحراوي يدينون بالطاعة والولاء للوكهم المغاربة إنه حكم قوي التعليل لأنه إذا ما أنكر أن إرادة هذه الأقاليم لم تكن تمارس من قبل السلطة المركزية المغربية فكيف يمكن تفسير الوجود الشخصي لأجدادنا فيها؟ وكيف يفسر أن مولاي إسماعيل قد وصل عام 1679 الى نهر السينغال، وكون مولاي الحسن ذهب 1882 و 1886 إلى الصحراء؟ وكيف يمكن نسيان أن المعاهدات الدولية المبرمة مع بريطانيا سنة 1895 ومع فرنسا وألمانيا سنة 1911 اعترفت رسميا بالسيادة المغربية على هذه الأقاليم.

إن روابط الولاء التي تحدثت عنها المحكمة الدولية هي روابط جد قديمة وجد ثابتة ودائمة، وجد عديدة قامت الأدلة عليها بالعديد من توجيهات ملوكنا وأوامرهم وقراراتهم وظهائرهم قبل الاستعمار وخلال وجوده إلى حد أن المحكمة نتيجة اطلاعها على ذلك - أعطتنا الحق في هذه النقطة، لقد أدرجت هذا المقتطف من كلام جلالة المغفور له الحسن الثاني في كتابه التحدي الذي ضمن فيه من درر أفكاره الرائعة ماهو كفيل بأن يفيد القارئ ويطلعه على جانب من جوانب تاريخ هذه الأمة المشرف وزاد قائلا رضي الله عنه: (وقد كانت إسبانيا حكيمة عندما تراجعت عن تنظيم استفتاء بين صفوف سكان الصحراء) انتهى كلام المغفور له .

إن رجوع إسبانيا عن الاستفتاء في الصحراء الذي قدرته وتراجعت عنه من تلقاء نفسها يعطي دليلا على قناعتها باستحالته...

ولا شك أن من يريد فصل الصحراء المغربية عن وطنها الأم فذالك إنما يريد التجني على التاريخ ويحاول أن يدوس المشروعية ولا يحترم إرادة المواطن الصحراوي المغربي إن دم العروبة وأمازيغ يجري في عروقنا نحن أبناء المغرب الأقصى ولا نقبل من أي كان أن يمزق شملنا أو يمس من وحدتنا أو يشكك في مغربيتنا لقد بايع آباؤنا وأجدادنا ملوك الدولة العلوية وأخلصنا لهذه البيعة وقمنا بواجبها الشرعي أبا عن جد للملوك العلويين الذين بادلوا هذا الشعب المغربي حبا بحب ووفاء بوفاء وكان قادة الصحراء المغربية على مختلف حيثياتهم سباقين في القيام بالواجب والتمسك بما يدعو له الكتاب والسنة من واجب الطاعة لولي الأمر ومن تتبع تاريخ أبناء الصحراء المغربية المشرف في التضحية والجهاد والذب عن هذا الوطن يعلم علم اليقين أنهم من خيرة بناة حضارة أمتنا المغربية ومن المحافظين بصدق ووفاء على واجب الطاعة لا يحيدون عما يجب عليهم قيد أنملة وتلك طبيعة ولد المغرب الحر من جنوب المغرب لشماله... فكل المغاربة يعتزون أيما اعتزاز بالعرش العلوي المجيد ويجاهدون من ورائه في شتى الواجهات لبناء المغرب والدفاع عن وحدته وكرامته وتقدمه وازدهاره بقيادة أمير المؤمنين خير خلف لخير سلف جلالة الملك محمد السادس دام له النصر والتمكين فدام لنا الحصن الحصين والركن الركين يحمي حمى الوطن والدين مقرور العين بولي عهده المحفوظ بكرم الله سمو الأمير الملكي مولاي الحسن ويصنوه السعيد سمو الأمير مولاي رشيد وبجميع أفراد أسرته الشريفة وشعبه المغربي إنه سميع مجيب.

بقلم النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب
الشيخ ماء العينين لارباس

الوثاق

الاستثناء في كلمة الشهادة

للشيخ سيدي أحمد بن عبد العزيز السجلماسي

الحمد لله وصلاته وسلامه على رسول الله وآله وصحبه ومن تلاه، وبعد:
فقد سئلت عن الاستثناء في كلمة الشهادة أهو متصل أم منفصل أم قابل للأمرين باعتبارين أم خارج عن الاحتمالين لما يرد من المحذور على كلا الوجهين أم محتمل لأربعة أوجه صالح لصادقية كل منها عليه كما طرق ذلك الشيخ يحيى الشاوي في حواشي شرح الصغرى وبين وجه كل منها واستحسنه فأجبت والله تعالى أستعين.

3/3

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

■■■

وإنما نبهت عليه لأني رأيت بعض الطلبة غلط فيه، وإن قال الثاني لزمه أمران، الكذب في الأخبار لكثرة المعبودات بالباطل، وخلوُّ الكلمة من التوحيد الذي هو المقصود منها لصدقها على ذلك الزعم بتعدد المعبود بحق، إذ إنما نفي بها عليه المعبودات بباطل، ومعنى الكلمة عند جميع المسلمين بل والكافرين، قصر الألوهية على الله، أي إثباتها لله تعالى، ونفيها عن كل ما سواه، وإن قال الثالث لزم الكفر والكذب اللازمان في الوجهين قبله.

■■■

وتقرير اللزوم بين مما مر فيهما، هذا إن قدر الخبر بوجود أو في الوجد، فإن قدره بمعبود بالحق لزمه الكفر دون الكذب، بنفي المعبودات بالباطل، وإن قال المراد بالإله المعبود بحق وهو صادق على الله تعالى، والافراد الذهنية لكنها غير مشاركة له في وصف الوجود، فلم يكن بعضها بهذا الإعتبار فكان الإستثناء منقطعا، وإن وُجِّه فيه الإخراج من متعدد قلنا هذا مفاد جعل الإستثناء في الكلمة المعظمة متصلا، فتسميته منفصلا جهل بمعناه، ولو كان مجرد ما ذكر من المغايرة يوجب كون الإستثناء في الكلمة المعظمة متصلا، فتسميته منفصلا جهل بمعناه، ولو كان مجرد ما ذكر من المغايرة يوجب كون الإستثناء منفصلا للزم ألا يتحقق اتصال أصلا لوجوب مغايرة المستثنى المتصل للمستثنى منه في الحكم.

وأما بطلان كونه متصلا منفصلا، فلما تقدم من أنهما لا يجتمعان للزومية اجتماعهما، لاجتماع النقيضين المعلوم بطلانه بالضرورة، وبعد تحققك معنى المنفصل على ما مر، تقطع بأنه ليس هنا اعتبار يسوغ الإنفصال بوجه.

■■■

وإما بطلان كونه لا متصلا ولا منفصلا، فلما تقدم من تحقيق اتصاله ولما سبق من أن بينهما تقابل الشيء والمساوي لنقيضه، فلا يجتمعان ولا يرتفعان.

ثم يقال لقائل بالواسطة، ما حكم هذا المستثنى الذي زدته على ما عند الناس؟ وبماذا تعربه؟ فإن النحويين إنما قسموا المستثنى إلى قسمين وبينوا حكم كل منهما، ولم يتعرضوا للواسطة، فتراهم كلهم عنها غافلين، كلا، بل حكوا أن لا واسطة، إذ ردوا القسمة إلى القسمين بين النفي والإثبات، ويرحم الله الشيخ يس إذ قال في حواشي شرح الصغرى، وأما ما نقل من بعضهم من أن الإستثناء في الكلمة الشريفة لا يتصف بالإتصال والإنقطاع فأمر عجب، ثم قال بعد عقب ما نقل بحثا للوانوغي في المسألة ما نصه: واقتفى كلام الوانوغي أن في الإستثناء في الكلمة الشريفة لا يخلوا من أحد الوصفين من الإتصال والانقطاع، وهو كذلك، وهو محصور فيها بطريق القسمة العقلية، وكلام النحاة صريح في أنه متصل، مثل كثير، بما إذا تعذر الإتباع اللفظي، ولا وجه للقول بأنه لا يتصف بهما، فإن كان توهم أنه لا يقال المستثنى بعض المستثنى منه، فقد صرحوا قاطبة بتجويز البدلية، وأنه بدل بعض، والمراد أنه بعض من مفهوم المستثنى منه، ولو نظر لمثل هذا لمنع إطلاق لفظ الإستثناء لأن معناه الإخراج، وهو فرع تصور الدخول، فاعرف الحق، ولا تصغ لكل ما يقال سيما إذا خالف المعقول والمنقول، انتهى.

■■■

وفي قوله صرحوا قاطبة إلى ما لا حاجة بنا إلى بيانه، وأما بطلان احتماله الأربعة، فمعلوم من بطلان ثلاثة منها، ويتعين الواحد، وجعل الكلام الصحيح محتملا خبرا عن الاله كما ارتضاه ناظر الجيش، أو بأن تكون مبتدأ قدم خبره، فركب مع لا كما قاله الزمخشري، أو بأن تكون الجلالة نائب فاعل الله، لأنه بمعنى معبود سد مسد خبر لا كما نقله الناظر، ورجحه شيخ بعض شيوخنا العلامة الكوراني، ودفع ما أورد عليه المختصر بالوجه الأول فيكون الثاني واسطة.

قلت هو لازم على كليهما لما صرح به النحاة وغيرهم، من أن المستثنى منه في التفريغ مُقدَّرٌ عام شامل للمستثنى وغيره، والمستثنى مخرج منه، فتحقق البعضية والإخراج دائما في المفرغ، ولذا أدرج ابن الحاجب المفرغ في تعريف المتصل بقوله أو مقدر على أظهر محامله، وقد سلف الإيماء إليه فلا فرق بين التفريغ على التفريغ وعلى التمام.

■■■

فإن قلت إذا كان المستثنى منه في التفريغ مقدرا فما الفرق بينه وبين التمام في الكلمة على ما اختاره أبو حيان وبعض تلامذته من كون الابدال من ضمير الخبر المحذوف معه إذ المستثنى منه مقدر في كليهما؟

قلت التقدير في التفريغ إنما هو لجانب المعنى لا لجانب الصناعة، نحو ما يعلقها إلا العالمون، فجيء بالنفي والإثبات لإفادة القصر، ذكر معناه سيبويه وغيره، بخلاف قولك، نعم إلا زيد جوابا، لقائل أقام القوم؟ أو أما قام القوم؟، ولك الإبدال في جواب الثاني، لأن نعم، لا تبطل النفي بخلاف بلى.

فإن قلت بلزم البدل من المحذوف وهو من المحذور، وقد اعترض بعضهم بذلك ما اختاره أبو حيان.

■■■

قلت أن يسلم أنه من المحذور، فرب شيء يجوز تبعا ولا يجوز استقلالا، والمبدل منه في المتحدث فيه حذف مع عامله لا وحده، فهو كالفاعل ونائبه لا يحذفان وحدهما على المرتضى، ويحذفان مع عامليهما بالاتفاق، ففي الكلمة المشرفة حذف المبدل منه مع رافعه ولابد من تقدير الخبر عند الجمهور صناعة، لأن الجزئين بعد لا العاملة يجب أن يكونا نكرتين، فلا يصلح ما بعد إلا للخبرية، ولا للإبتدائية لما مر، ولأن لا لم يثبت تركيبها مع الخبر، فتعين التقدير للخبر صناعة كما تعين في قوله:

هل هو الا الذيب لاقى ذيبا
كلاهما يطمع أن يصيبا

ينصب الذيب، وكما تعين تقدير المبتدأ في قوله

يطالبه عمرو ثمانين ناقة
ومالي يا عفراء إلا ثمانيا

وكما تعين التقدير للمفعول المقيد بالحرف في قوله:

نجا سالما والنفس منه بشرق××فلم ينج إلا جفن سيف ومئزرا أي لم ينج بشيء، إلا غمد سيف، وليس مفرغا، وإلا قال إلا بجفن سيف، على أنه ذكر في المغني من أمثلة حذف المبدل منه قوله تعالى: "ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب عند من أعرب الكذب بدلا من مفعول تصف العائد المحذوق، وذكره أيضا أبو البقاء من جملة الأعاريب، وبهذا تعلم أن تعريف التام بأن يكون المستثنى منه مذكورا غير منعكس، وتعريف المفرغ بنقيض ذلك غير مطرد، فتفطن له.

■■■

ومما يقطع به أن الإستثناء في الكلمة غير منقطع ويلزم منه أنه متصل، إجماع القراء في المتواتر والشاذ على التزام الرفع في نحو فاعلم أنه لا إله إلا الله، ونحو، فلا كاشف له إلا هو، لا إله إلا أنت سبحانك، شهد الله أنه لا إله إلا هو وفي الحديث لاشافي إلا أنت، لا شفاء إلا شفاؤك، ومن كلامهم لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي، وأمثال هذه التراكيب لا تحصى، ولم ترد إلا بالرفع، ولا يصح الإجماع على الرفع في المنفصل لأنه أعني الرفع ممنوع في اللغة الحجازية، مرجوح في التميمية تارة، وممنوع فيها أخرى، فكيف يتصور الإجماع عليه؟

■■■

والحاصل أن الإنفصال في الكلمة المشرفة ممنوع بالنظر إلى المعنى المراد منها وهو التقيد بإجماع حكاه غير واحد بالنظر إلى علم النحو لا على الأصول كما دل عليه كلامهم، في المخصصات، وإلى علم البيان كما دل عليه كلامهم في العصر وإلى علم القراءات كما علمت آنفا، وقد وقفت بعد كتب ما مر على كلام الشيخ اليوسي في مناهج الخاص، وذكر فيه أن الإستثناء في الكلمة متصل على كل تقدير من التقادير الممكنة فيها، وذكر الشيخ ابراهيم في إنباه الالباب، جميع ما قيل في إعرابها، وحكم بوجوب الرفع فيها وإبطال النصب، فكيف يصح الإنفصال مع هذا؟

■■■

فإن قلت بقي نوع من المستثنى لم تذكره، ولا نأمن أن يدعي مدعي أنه واسطة، فما رأيك فيه وهو المركب من شيئين، مثلا أحدهما بعض من المستثنى منه، والآخر خارج عنه، كقولك جاء الناس إلا اثنين رجلا وفرسا، قلت هو من المنقطع قطعا لأن المركب من البعض وغيره ليس ببعض ضرورة، فيدخل في تعريف المنفصل ونظيره، بل هو عينه كما في شرح المقاصد للسعد رحمه الله، أن المركب من الداخل والخارج ليس بداخل، وإنما لم أذكر هذا النوع لأني لم أقف على مثله في استعمال العرب، وإنما وقفت عليه في استعمال بعض المؤلفين، وذلك لا يدل على جوازه في اللغة، فإن ثبت جوازه فيها لا تشك في انفصاله، كما أفصح به ما تقدم من القسطاس المستقيم، والضابط الأقوم والله سبحانه وتعالى أعلم.

■■■

انتهى تقييد شيخنا الهلالي، لازال فارعا ذرى شامخ المعالي، مرتقيا سماء المجد الرفيع بجاه رسول الله الهادي الشفيع(ﷺ) وعلى آله وأصحابه، وغفر لنا ولوالدينا ولشيوخنا خصوصا سيدنا المؤلف رضي الله عنه وعن جميع أيمتنا والمسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

■■■

لأربع عشرة بقيت من شعبان عام 1192 صحوة يوم السبت جعل الله العمل خالصا لوجهه آمين.

محمد بن محمد بن صالح كتب، أصلح الله حاله، وغفر ذنوبه آمين.

في ظلال الحديث

الحديث الثاني والثمانون: الصيام بين العادة والعبادة

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

نص الحديث:

عن عبد الرحمن بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله تبارك وتعالى فرض صيام رمضان عليكم وسننت لكم قيامه فمن صامه وقامه إيمانا واحتسابا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه " رواه النسائي.

تخريج الحديث:

هذا الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى، كتاب الصوم ج2/ص90/ح2520. وج4/ص159/ح2210. وابن خزيمة في صحيحه ج3/ص336/ح2201وابن ماجه في سننه، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب ما جاء في قيام شهر رمضان ج1/ص42/ح1328. وابن حنبل في مسنده، مسند العشرة المبشرين بالجنة، حديث عبد الرحمن بن عوف الزهري ج1/ص191/ح1660. والطيالسي في مسنده ج1/ص31/ح224. وأبي يعلى في مسنده ج2/170/ح864. وعبد بن حميد في مسنده ج1/ص83/ح158. وعبد الرزاق في مصنفه ج2/ص165/ح7705.

درجة الحديث

هذا الحديث أخرجه النسائي بسند رجاله ثقات إلا النضر بن هشام فهو لين الحديث، وصححه الألباني.

سند الحديث:

هذه رواية النسائي في سننه وهذه تعريفات موجزة بالرواة:

محمد بن عبد الله بن المبارك: هو أبو جعفر محمد بن عبد الله بن المبارك القرشي المخرمي الحافظ الحجة قاضي حلوان مولاهم البغدادي. قال أبو حاتم الرازي هو ثقة. وقال الباغندي كان حافظا متقنا وقال النسائي وغيره ثقة وقال الخطيب كان من احفظ الناس للأثر وأعلمهم بالحديث. توفي سنة 255 رحمه الله تعالى.

أبو هشام: هو أبو هشام المغيرة بن سلمة المخزومي القرشي البصري. قال علي بن المديني كان ثقة وقال أيضا ما رأيت قرشيا أفضل منه ولا أشد تواضعا وأخبرني بعض جيرانه، أنه كان يصلي طول الليل وقال يعقوب بن شيبة كان ثقة ثبتا وقال علي بن الحسين بن الجنيد والنسائي ثقة وقال البخاري قلت وقال ثقة مأمون وذكرا بن حبان في الثقات مات سنة 200.

القاسم بن الفضل: هو أبو المغيرة القاسم بن الفضل بن معدان بن قريظ الحداني الأزدي البصري. قال أحمد بن معين ثقة وقال يحيى بن معين وقال ليس به بأس وقال محمد بن سعد والترمذي والنسائي ثقة وذكرا بن حبان في كتاب الثقات مات سنة 167 .روى له البخاري في الأدب والباقون.

النضر بن شيبان: هو النضر بن شيبان الحداني البصري، ذكرا بن حبان في كتاب الثقات وقال كان ممن يخطئ روى له النسائي وابن ماجة.

أبو سلمة بن عبد الرحمن: هو أبو سلمة عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري المديني. قال الزهري كان أبو سلمة يماري بن عباس فحرم من ذلك علما كثيرا قال مصعب يقال إن أبا سلمة بن عبد الرحمن أرضعته أم كلثوم بنت أبي بكر وكان يلج على عائشة. وهو من الطبقة الوسطى من التابعين، توفي بالمدينة سنة:94هـ.

عبد الرحمن بن عوف: هو أبو محمد عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، أحد العشرة المشهود لهم بالجنة واحد الستة اصحاب الشورى الذي اخبر عمر عن رسول الله (ﷺ) انه توفي وهو عنهم راض، ولد بعد الفيل بعشر سنين، وأسلم قديما قبل دخول دار الأرقم وهاجر الهجرتين وشهد بدرا وسائر المشاهد. وكان ممن يفتي على عهد رسول الله (ﷺ)، مات رضي الله عنه، سنة اثنتين وثلاثين (32) وعاش اثنتين وسبعين (72) سنة ودفن بالبقيع وصلى عليه عثمان ويقال الزبير بن العوام، وله 65 حديثا.

أهمية الحديث:

هذا حديث عظيم يبين فيه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته، حقيقة وفضل صيام وقيام رمضان، حتى يبقى للمسلمين فيصلا بين صيام العادة وصيام العبادة الذي فرضه الله على أمة الإسلام، وأجزل الثواب والأجر لمن أخلص وأتقن فيه.

المعنى العام

تقديم: هذه نعم الله تتجدد بمرور أيام رمضان وهذه آلائه تتوالى علينا بتوالي ليالي هذا الشهر الفضيل وما عشنا من يوم في رمضان فهو نعمة وفضل من الله، وما بلغنا زيادة في هذا الشهر فهو منة من الله فإن من العباد من أوقفه انتهاء أجله عن بلوغ هذا الشهر الكريم، وإن من الناس من أوقفته المنية عن الاستمرار في هذا الشهر المبارك فلله الحمد على هذه النعمة...

وإن من مقتضيات الاعتراف بنعم الله عز وجل، أداء شكرها، ولايكون ذلك إلا بالاستقامة على المنهج النبوي والاقتداء بسنته صلى الله عليه وسلم، وإن ما دأب عليه عدد من الناس من إحياء للسهرات والحفلات التي تسمى زورا وبهتانا بالرمضانية، ما هي إلا دليل على المخالفة الصريحة لجوهر الحديث الذي بين أيدينا، حيث أن الصيام ينقلب من صيام الإيمان والاحتساب، والاقتداء والاتباع، إلى صيام العادات والشهوات، وبذلك قد يحرم صاحبه الأجر المترتب عليه.

1. تنبيهات وتعليمات لمن أراد أن يكون من الفائزين:

نحن الآن على مقربة من نهاية النصف الأول فلابد من حساب، كيف مضت أيام الشهر الماضية؟ وكيف انقضت لياليه، ذهب الثلث والثلث كثير فماذا فعلنا وقدمنا فيما مضى وهل من عملية تحسين ومضاعفة وازدياد في العبادة فيما سيأتي.

وحتى لانضعف ونكل وسط الطريق ونمنع تحول عبادتنا عبادة الصيام إلى عادة كيف نعيد اللذة والحيوية إلى هذه العبادة ونحن في أواسط رمضان؟

أولا: ينبغي أن نحقق التعبد في الصيام باستحضار النية أثناء القيام به وأن العبد يصوم لرب العالمين.

ثانيا: مما يمنع تحول صيامنا إلى عادة.. أن نستمر في تذكر الأجر في هذا الصيام وفضيلة العبادة في هذا الشهر الكريم، تذكر دائما ونعيد إلى الأذهان قوله صلى الله عليه وسلم : "غفر له ماتقدم من ذنبه" و "خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه"، فما هو الشرط في هذه المغفرة وهذا التطهير؟إنه الاحتساب في كل الشهر، ليس في أوله فقط، والمحتسب على الله في الأجر يشعر بكل يوم وبكل صوم ويرجع دائما إلى الله سبحانه وتعالى يطلب المغفرة.

ثالثا: أن نتمعن في هذا الأجر العظيم الذي يكون بغير اعتبار عدد معين، "كل عمل ابن آدم له كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مئة ضعف، إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به" وأن لاتغيب هذه الأحاديث عن أذهاننا ونحن الآن أشرفنا في الثلث الثاني من شهر رمضان، الصيام يشفع لك يوم القيامة، يقول الصيام: أيا ربي منعته الطعام والشهوة، منعته الشهوات في النهار فشفعني فيه. هكذا يقول الصيام يوم القيامة.

رابعا: فضائل الصيام وأهله كثيرة متعددة يفرح الصائم بفطره، وعند لقاء ربه، والباب المخصص الذي يدخله الصائمون إلى الجنة "باب الريان" والخلوف الذي هو أطيب عند الله من ريح المسك وفتح أبواب الجنة وتغليق أبواب الجحيم وسلسلة الشياطين ما يمنع تحول الصيام إلى عادة فلماذا الكسل والتواني؟لابد من الانبعاث وإعادة الهمة.

خامسا: من الأسباب التي تمنع تحول هذه العبادة إلى عادة التأمل فيها الوقوف على شيء من حكم الله، توحيد المسلمين المواساة الإحسان، أثر الجوع والعطش والأمر بضبط النفس...

سادسا: التفكر حديثه صلى الله عليه وسلم : "رغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له من أدرك شهر رمضان ولم يغفر له فأدخله الله النار فأدخل النار فأبعده الله قال جبريل لمحمد: قل آمين، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: آمين.

سابعا: تنويع العبادة في أيام الشهر صيام، قيام، قرآن، إطعام، إنفاق، زكاة وصدقة، وصدقات.. وهكذا تتنوع العبادة، فيتجدد النشاط وتعود الحيوية، وكذلك التعبير عن الابتهاج والتذكير في مجامع الناس بعظمة هذا الشهر وحلاوة أيامه ولذة عبادته.

ثامنا: ومن الوسائل، عدكم ذهب من الشهر يرجعك إلى الحقيقة ويبين لك مابقي، فتشعر بالرغبة في مزيد من الاجتهاد كم مضى من شهرنا... كم ذهب؟ ذهب الثلث والثلث كثير.

تاسعا: مقارنة الحال بما قبله ومابعده، قارن حالك بما قبل الشهر وبما بعده لتعرف عظمة هذا الشهر.. لتعرف قيمة هذا الشهر قبل أن يفوت الأوان فلا تفدك المعرفة.

عاشرا: تذكر طول الوقت الذي سيمر حتى يأتي شهرنا مرة أخرى تذكر طول الوقت الذي سيمر حتى يأتي هذا الشهر مرة أخرى، أشهر طويلة عديدة مديدة ستبقى حتى يأتي الشهر مرة أخرى هذا التذكر يبعث إلى ازدياد النشاط ومضاعفة العبادة وترك الكسل ونفض الغبار والقيام لله رب العالمين.

2. الاجتماع لقيام الليل، صلاة التراويح. لم يشرع إلا في رمضان.

أولا: صلاة التراويح عبادة جليلة ينبغي أن تعطى حقها، هذا القيام لابد أن يقام بحقه، التبكير إلى المساجد وعدم تضييع صلاة العشاء في الجماعة الأولى والفرض أهم من النفل.

ثانيا: أن لا يكون قصك مساجد معينة للصلاة فيها من أجل جمال الصوت فقط وحسن النبرة وإنما ينبغي أن يكون الالتذاذ بسماع كلام الله وفهمه أعظم من الاستلذاذ بسماع صوت القارئ ولحنه.

ثالثا: استحضار القلب عند آيات: الرحمة.. العذاب.. الثواب.. العقاب... القصص... الأمثال..أهوال القيامة... ذكر أسماء الرب وصفاته. جل وعلا. فينبغي أن تكون الأذان حاضرة للإيصال هذا إلى القلوب الحاضرة الحية لينبعث تذكر ويحدث التفاعل مع سماع هذه الآيات...

رابعا: عدم رفع الصوت بالبكاء والنحيب والصياح، كان صلى الله عليه وسلم يصلي ويبكي في صلاته وفي صدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء كما تغلي القدر بهذا الصوت المكتوم.فالإخلاص في كتم البكاء وعدم الصياح ورفع الصوت. بكاء القلب أهم! عليك بالتأثر الذي لايشعر به الناس.

خامسا: السحور: وهو عبادة جليلة يغفل عنها الكثيرون وينامون عنها وعن صلاة الفجر! ومع الأسف نجد قلة من أهل العشاء في صلاة الفجر في رمضان ومن الأسباب عدم الاستيقاظ للسحور، السحور بركة كما قال صلى الله عليه وسلم عليكم بهذا السحور فإنه هو الغداء المبارك...

سادسا: الحرص على تفطير الصائمين لقوله صلى الله عليه وسلم: "من فطر صائما فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء"... من غير أن ينقص من أجر الصائم شيء... احرص علي إطعامه... وإشباعه... وإيصال الطعام إليه بغير منة ولا أذى، وإنما تحمد ربك أن هيأ لك الفرصة لأن يطعم الصائم من طعامك ويشرب من شرابك وتذكر إخوانك المسلمين في ربوع الأرض ممن لا يجدون طبقا واحدا من الأطباق التي تزخر بها مائدتك...

3. نصيحة وتوجيه... كي لانكون من الغافلين:

تجنبوا تحويل ليالي هذا الشهر الكريم إلى ليالي أنس مع الخلائق ومجالس معاصي، ولعب ورقص، ومسلسلات خليعة وأغاني ماجنة... فالأمر أعظم من ذلك!

قد رشحوك لأمر لو فطنت له...

فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وهذه نصائح مجملة وتوجيهات مختصرة، أقدمها لك ولنفسي، لعل الله ينفعنا بها، ويكون صيامنا وقيامنا إيمانا واحتسابا، ونكون من الفائزين يوم نقف بين يدي رب العالمين:

أولا: اغتنام الوقت في تحصيل أكبر قدر من الأجر، واجتناب الانشغال بسفاسف الأمور كتضييع الوقت في الطبخ والبحث عن الأطعمة فكل مما تيسر، فإنه شهر صيام وقيام، لا شهر شراب وسهر وطعام.

ثانيا: الاطالة والمكث في بيوت الله ما أمكن، والاعتكاف فإن فيه أجرا عظيما حتى لايذهب سدى في الشوارع والأزقة، فصل الصلاة بالصلاة، إن أمكنك وذلك، وانتظر الصلاة بعد الصلاة في فمن جلس ينتظر الصلاة فهو في صلاة، واجعل لنفسك برنامجا عمليا تجمع فيه بين خيري الدنيا والآخرة.

ثالثا: صل رحمك، وأطعم الفقير واليتيم والمسكين وفي ذلك فليتنافس المتنافسون.

رابعا: انشغل بالأهم قبل المهم، والنفس إن لم تشغلها شغلتك.

خامسا: عليك برفقة الصالحين ومجالستهم، فإنهم يذكرونك بربك، ومن لم يذكرك بالله فليس لك فيه حاجة، بل قد يكون ضرره أكبر من نفعه، وكن في عملك مؤمنا صائما عن كل مايغضب الناس ورب الناس...

فإن فعلت هذا وغيره من أبواب الخير والفضل مما أنت أعلم به مني، كنت بفضل الله ورحمته من الفائزين يوم يقف الناس بين يدي رب العالمين.

ربنا تقبل منا الصيام والقيام، واحشرنا في زمرة خير الأنام والحمد لله رب العالمين.والله أعلم بالمراد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

حديث المنابر

رمضان شهر الانتصارات: المسيرة الخضراء نموذجا

■ إعداد الأستاذ: معاد الصمدي

الخطبة الأولى

... فموضوع خطبة اليوم :الإنسان ورمضان «عباد الله: لقد نوع الإسلام في عباداته فجعل منها مايتمثل في القول كالدعاء وذكر الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وتعليم الجاهل وإرشاد الضال وكل هذا من باب العبادة القولية، وأيضا جعل نوعا من العبادة فعلية بدنية كالصلاة. ومالية كالزكاة. وجامعا بينهما كالحج ومن العبادات أيضا ماليس قولا ولا فعلا.

ولكنه كف وامتناع وذلك كالصوم الذي هو امتناع عن الأكل والشرب ومباشرة النساء من طلوع الفجر إلى غروب الشمس. وهذا الامتناع هو أساسا من أجل التقرب إلى الله عز وجل. وهو عمل نفسي إرادي له مكانته العالية وثوابه الجزيل عند الله وإذا كانت الحسنة بعشر أمثالها فإن جزاء الصائمين انفرد الله سبحانه وتعالى بتقديره كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به" وقد اختار الله لهذا الصوم شهرا كريما له في قلوب المؤمنين الأثر البالغ ذلك أن فيه نزل كتاب الله. وهو خير الكتب على الإطلاق وأفضلها وأزكاها وفيه فرضت هذه العبادة فما أطيبه من شهر، وما أعظمها من فريضة قال تعالى في سورة البقرة "شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان" إن لشهر الصيام هذا أسرار عظيمة وحكما بالغة نعرف منها شيئا ونجهل أشياءا وهنا يجب على المؤمن أن يتأمل في الحكم الإلهية والأسرار الربانية وراء الجوع والعطش وأن يدرك سره تعالى في الصوم حتى نؤديه كما أراد الله عز وجل لا كما يشتهيه الناس ولن يتأتى ذلك إلا بإدراك سر الإنسان وحقيقته. فإذا كان الإنسان هو الجثة القائمة والهيكل المنتصب والخلايا واللحم والعصب، إن كان كذلك فما أحقره وما أصغره ولكن ليس الإنسان بالشكل الذي ذكر لنا إنما هو روح سماوي يسكن هذا الجسم الأرضي وليست حقيقة الإنسان إلا هذه اللطيفة الربانية الإلهية التي أودعها الله فيه أي الروح، بها يعقل ويفكر، وبها يشعر ويتذوق بها يدبر ملك الأرض ويتطلع إلى ملكوت السماء وبها أمر الله الملائكة أن تسجد لآدم لا لما فيه من حمأ مسنون وطين معجون قال تعالى: "إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا من طين فإذا سويته و نفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين" ومن هنا فالإنسان روح وجسد فالجسد بيت والروح ساكنه والجسد مطية والروح راكب ومسافر. فما أعجب أمر المسلمين الذين أهملوا أرواحهم وعبدوا أجسامهم فللجسد وحده يعملون ولإشباع غرائزهم يتوقون وحول بطونهم وفروجهم يتكالبون هؤلاء الذين وصفهم الله بقوله في سورة الفرقان "أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا" فإذا حكم الإنسان جسده على روحه وحكم غريزته في عقله فقد تحول من إنسان لطيف إلى شيطان رجيم وبئس الاختيار وإذا حكم الجانب السماوي على الجانب الأرضي أي الروح على الجسد فقد صار ملاكا أو أكثر قال تعالى في سورة البينة "إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية" والإسلام لما جاء فإنه جاء للمادة والروح معا. وما تخلف المسلمون إلا بسبب عدم تكافئ الروح والجسد. وعليه، فلا نهضة للأمة الإسلامية ما لم يفهم المسلمون أن الإسلام مادة وروح وأن القصور ليس في التشريع وإنما هو قصور في تطبيق التشريع، إن فرضية الصيام هي تحرير للإنسان من سلطان الغرائز فيه يتغلب على نزعات شهوته ويتحكم في مظاهر حيوانيته ويتشبه بالملائكة.إذ ليس عجيبا أن يرتقي روح الصائم ويقترب من الملأ الأعلى ويقرع أبواب السماء بدعائه فتفتح، ويدعو ربه فيستجيب له وينادي فيقول: لبيك عبدي لبيك، وفي هذا المعنى يقول الرسول (ﷺ) "ثلاثة لاترد دعوتهم الصائم حتى يفطر، والإمام العادل ودعوة المظلوم" وإذا كان الصيام فرصة لتقوية الروح ففيه أيضا فرصة لتقوية البدن فإن كثيرا مما يصيب الناس من أمراض إنما هو ناشئ من بطونهم فإذا كانت البطن مستنقع البلايا والمعدة بيت الداء فإن الحمية رأس الدواء وليس كالصوم فرصة لذلك وصدق رسول الله (ﷺ) حين قال: (صوموا تصحوا) لقد ربى الصوم في المسلمين الصادقين الصبر "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب" فالصائم يجوع وأمامه شهي الغذاء ويعطش وبين يديه بارد الماء ويعف وبجانبه زوجته فأي مدرسة تقوم بتربية الإرادة الإنسانية وتعليم الصبر الجميل كمدرسة الصيام التي يفرضها الإسلام إجباريا في رمضان. إن النعم لاتعرف إلا إن فقدت وفي الصوم معرفة لقيمة الطعام والشراب ومن أجل ذلك ورد أن النبي (ﷺ) قال: (عرض علي ربي ليجعل بطحاء مكة ذهبا. قلت: لا، يارب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت شكرتك وحمدتك" إن من عاش في أحضان النعم فلم يعرف طعم الجوع ولا مرارة العطش يظن أن الناس كلهم مثله لذا جعل الإسلام الجوع ضريبة سنوية يؤديها الموسر والمعسر ويؤديها من يملك القناطير ومن لايملك قوت يومه حتى يشعر القوي أن هناك معدات خاوية وبطونا خالية فحري بإنسانية الإنسان وإسلام المسلم أن يرق قلبه للضعفاء والبؤساء والمحتاجين والثكالى ويكون رمضان انطلاقة للرحمة إن الاستسلام والعبودية لله غاية كل العبادات والأعمال وهدف كل فريضة فما أظهر هذا التسليم والعبودية في الصوم يقول الله تعالى "كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع طعامه من أجلي ويدع شرابه من أجلي ويدع لذته من أجلي ويدع زوجته من أجلي" هذا هو الصوم في الإسلام لم يشرعه الله تعذيبا للبشر ولا انتقاما منهم وإنما شرعه إيقاظا للروح وتصحيحا للجسد وتقوية للإرادة وتعويدا على الصبر وتدريبا على كمال التسليم لله رب العالمين وهذه الحكم يجب أن نرعاها حق رعايتها حتى يكون صيامنا شرعيا كما أراده الله. إن سلفنا الصالح رضي الله عنهم كان نهارهم نشاطا وإنتاجا وليلهم تهجدا وقرآنا ألسنتهم صائمة لاترفث ولاتصخب وآذانهم صائمة فلا تسمع للغناء واللهو والمزامير الشيطانية وأعينهم صائمة فلا تنظر لحرام وقلوبهم صائمة فلا تعزم على إثم. أما مسلمو اليوم فمنهم من وفقه الله للاقتداء والتأسي برسول الله (ﷺ) والسلف الصالح ومنهم وللأسف من خاب وخسر والعياذ بالله حيث أن الله سبحانه وتعالى جعل الصيام للقلب والروح فجعلوه للبطن والمعدة جعله الله للحلم والصبر فجعلوه للغضب والطيش جعله الله للسكينة والوقار فجعلوه شهر السباب والشجار جعله الله ليغيروا فيه من صفات أنفسهم فما غيروا إلا مواعيد أكلهم فاللهم اجعل صيامنا وقيامنا خالصين لوجهك الكريم واجعلنا من عتقائك من النار أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المومنين آمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولاعدوان إلا على الظالمين وأصلي وأسلم على نبي الهدى وإمام الرحمة شفيعنا محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه الأطهار فيا أمة القرآن إن أهم ما نسجله في هذا الشهر المبارك الكريم نزول كتاب الله العظيم الذي فيه نجاة كل مؤمن وملاذ كل آمن. به نصر الله عباده ووعد بنصرهم ما لم يتخلوا عنه في كل زمان ومكان، ونحن نعيش في هذا الأسبوع ذكرى غالية من أعز الذكريات ذكرى المسيرة الخضراء أسوق إليكم مقتطفات منها ودور كتاب الله في نشر السلم والأمن والأمان حينما قرر الملك الراحل تنظيم مسيرة خضراء لصلة الرحم بالصحراء وأقاليمها المغربية وبسكانها المغاربة الأوفياء الذين حافظوا على الوفاء بالعهد لوطنهم والتعلق به وحافظوا على البرور بآبائهم وأجدادهم وحرصوا على أن يكونوا بذلك الوفاء والإخلاص لدينهم ووطنهم مقتدين بقول ربنا " واوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولا" إنها بحق مسيرة حملت بين طياتها قرارا حكيما من ملك حكيم آثر السلم على الحرب مستلهما سيرة جده المصطفى (ﷺ) في جنوحه إلى السلم. فرسولنا (ص) عندما أراد فتح مكة بعد أن عاد من الحديبية منعه المشركون من دخولها فرجع إلى المدينة رغم أن الصحابة بايعوه على الحرب والتضحية ولكنه أمرهم بالرجوع حتى يدخلوها غانمين في العام القابل وكتب لهم ذلك من دون قطرة دماء واحدة. وهكذا كانت فكرة مبدع المسيرة الذي عرف بعبقريته وقراراته السديدة بعد أن وجد بجانبه شعبا قدم أروع مثل للإنسانية في التضحية وبدل الغالي والنفيس دفاعا عن وحدة الوطن وذودا عن حياض الأمة ورمز سيادتها وهكذا أرادها الملك أرادها حجا للحق إلى هذه الأراضي المغربية العريقة أرادها وفاءا وطاعة لوالده حين أمره قائلا: دافع عن وحدة البلاد ولاتتساهل في شيء من حريته ولاتتنازل عن قلامة ضفر من تربته "عباد الله إننا نستلهم من هذه الذكرى الدعوة إلى السلم لأن الإسلام دين السلم والأمن والأمان ولأن الله تعالى من أسمائه الحسنى السلام. وأيضا ما نستلهمه من اتخاذ كتاب الله سلاحا للدفاع عن الحق، فلقد حمل آباؤنا وأجدادنا كتاب الله في أيديهم وفي صدورهم فنصرهم الله، وما أعظمه من سلاح وأعظم به من سلاح أعجز الحضارات والتطور التكنولوجي والتقدم الحضاري فكان بحق سلاحا فتاكا يفتك بأعداء الله يفتك بالمستعمرين يفتك بعصابات الضلال يفتك بالظالمين والبغاة والطغاة. إن سياستنا يومها شيدت صرحها على آيات من الذكر الحكيم اقتبسها ملك البلاد من سورة الفتح واتخذها عنوان الأمة وسمى العملية عملية الفتح. لقد كان لحمل المصحف وقع كبير زلزل أقدام المستعمر وجعله يندحر بنور الله ويخف وزنه أمام هذا القول الثقيل "إنا سنلقي عليك قولا ثقيلا" "لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله.." فوالله وبالله لوتمسكت الأمم بكتاب الله بهذا القرآن العظيم لانتصرت على أعدائها ويكفينا في هذا قول ربنا" الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل" وأيضا نستلهم من مسيرتنا الوحدة والتضامن وكأننا برسول الله القائل:" مثل المومنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد.. عباد الله ينبغي ونحن نستحضر هذا الحدث التاريخ العظيم أن نستلهم منه الدروس والعبر لنتمسك بشرع الله ونمضي قدما وراء عاهلنا المفدى في تقديم التضحيات تلو التضحيات وللوقوف في وجه خصوم وحدتنا الترابية. فقد كثر حساد المغرب وتكالبت عليه قوى الشر. إن عدونا يتربص بنا الدوائر منذ القدم فهم يحسدوننا على ديننا على أمننا على راحة شعبنا على تضامننا على وحدتنا. أرادوا أن يحتلوا ديارنا ويدنسوا مقدساتنا ويريقوا ماء وجوهنا ويمشوا بغرور وصلف في أرضنا ويشتتوا وحدتنا ولكن ذلك لن يفت من عضدنا شيئا بل يزيدنا رسوخا وشموخا" أم يحسدون الناس على ماآتاهم الله من فضله. إن المغرب سيظل قلعة حصينة كما كان عبر التاريخ بفضل رجالاته وعلمائه وحكمائه كل ذلك برعاية مولانا أمير المؤمنين الذي حرص رعاه الله على السير على نهج الآباء والأجداد فجمع الشمل ووحد الكلمة وبذل ويبذل الأعمال الجلية والمساعي النبيلة للنهوض بهذا البلد في مختلف مجالاته اقتصاديا واجتماعيا وعلميا وعمرانيا. فاللهم أعزنا بالإسلام وأعز الإسلام بنا واجعلنا جسدا واحدا وصفا متراصا بفضل شهر القرآن على كل من أراد تشتيت جمعنا، اللهم من أرادنا وأراد بلادنا بسوء فاجعل كيده في نحره اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين والأنصار والمهاجرين والخلفاء الأربعة الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وعن الستة الباقين من العشرة الكرام البررة وعن أزواجه أمهات المؤمنين والتابعين وتابع التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين واحشرنا ياموالانا في زمرتهم ولا تخالف بنا عن نهجهم وطريقتهم يا أكرم مسؤول وياخير مأمول وانصر اللهم من قلدته في الأرض أمر عبادك وحكمت يده في أرضك وبلادك من آتاه الله الملك والأماني مولانا أمير المومنين جلالة الملك محمد االسادس اللهم وفقه للخير وأعنه عليه اللهم اجعله لأنعمك من الشاكرين ولآلائك من الذاكرين وعلى رعيته من المشفقين وبارك اللهم في ولي عهده الأمير الجليل مولاي الحسن ووفق اللهم الأمير الجليل المولى رشيد لما تحبه وترضاه. اللهم ادم على بلدنا نعمة الأمن والاستقرار واجعله آمنا مطمئنا وسائر البلاد المسلمين ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ويغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين آمين.

علم التوقيت والصفيحة الجامعة

■ يقول الحق سبحانه وتعالى : (وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون)الآية:97سورة الأنعام، في هذه الآية وغيرها كثير يشير فيها الحق سبحانه وتعالى إلى السماوات والعالم العلوي عامة، والإسلام من حيث إنه آخر الأديان في تاريخ البشرية يعنى في أساسه العودة إلى الدين الحنيف، وهو أيضا انعكاس مباشر للوجه الفطري، وهناك كثير من الآيات القرآنية التي تشير إلى الطبيعة تتعلق في معظمها بالسماء، هذا بالإضافة إلى ميل العرب الرحل الطبيعي إلى النظر إلى السماء أثناء تجوالهم في مجاهل الصحراء بمساعدتهم النجوم، وهذان العاملان حركا علم الفلك بدفعة قوية منذ بداية الحضارة الإسلامية، كما أفرد مكانة رفيعة لهذا العلم ومايلحق به من العلوم العقلية، حتى إن الفقهاء وعلماء الدين المعارضين لبعض هذه العلوم العقلية استثنوا علم الفلك من بينها، بل الأمر بلغ ببعضهم إلى أن أحلوه مكانا رفيعا، وبالطبع دعت الضرورة الملحة في العبادات الإسلامية وخاصة الصلوات اليومية أن عملت على إبراز ما للفلك من أهمية، فكان عليهم أن يحددوا مواقيت الصلاة على طول العام لكل عرض، كما كان عليهم أن يعينوا سمت القبلة وضوابط الرؤية، حيث استعملوا قواعد وضوابط رياضية لذلك كما تفننوا وبرعوا في استنباط الآلات الفلكية على اختلاف أشكالها وأنواعها لما لهذه الآلات من سرعة في استخراج النتائج المطلوبة بدون معاناة، وأهم هذه الآلات الفلكية "الأسطر لاب" الذي يشكل إسقاطا مخروطا بالكرة السماوية على خط الاستواء ابتداء من نقطة القطب، وتظهر دائرة الميل الزاوي وإحداثيات السمت على صفائح الأسطرلاب بينما تظهر الكواكب والبروج على العنكبوت أو الشبكة.

وهذا الجهاز المتعدد الوظائف يمكن أن يعين ارتفاع الكواكب وضبط الوقت، ومواقيت الصلاة، والنصبة الفلكية، وارتفاع الجبال، وعمق الآبار، ومسح المسافة بين مكانين، وتحديد السمت لكل موقع، ولذلك كان هو المساعد الوحيد عبر قرون لقائد السفينة وتحديد اتجاهها في مجاهل المحيطات، فلولاه ماستطاع الربان أن يوجه السفينة إلى بر الأمان في الوقت الذي لم يكن فيه الاتصال اللاسلكي والبوصلة المغناطيسية.

وقد يتساءل البعض اليوم، هل بقي لهذا الجهاز دوره الفعال في الوقت الحاضر أي وقت التقدم العلمي والتكنولوج؟.

نعم على الرغم من استحواذ برمجة المتطلبات الفلكية على اختلاف أنواعها ومشاربها، فإن جهاز الاسطرلاب مازال يقوم بدوره في استخراج المطالب الفلكية تبعا لجودة تخطيطه وإتقانه الفني، وهو إن كان لايحدد الزاوية بالدقيقة والثانية كما يفعل الكمبيوتر، لكنه يفوقه في سهولة الاستعمال وتنفيذ أكثر المتطلبات الفلكية عمليا حسابا ورصدا، حيث إنه يقيس الارتفاع ويحدد السمت حسابا وتطبيقا وغير ذلك، فما إن تحرك العنكبوت على وجه الأسطرلاب بوضع درج الشمس على مقنطرة الارتفاع حتى ترى هيأة الفلك على ما هي عليه في البرج الطالع على الأفق الشرقي، والغارب على الغربي، والمتوسط على خط وسط السماء، والمتوتد على وتد الأرض، وها هي الكواكب بارتفاعاتها وشروقها وغروبها وسموتها في كل الاتجاهات، وكذلك الساعات الزمانية يضبط الماضي منها والباقي، فهو لايقوم بحساب النتائج وحسب وإنما يقوم بحساب النتائج والرصد في آن واحد بدون كلفة وذلك في بضع ثوان.

ولما كان الاسطرلاب يحتاج إلى صفائح عدة بحيث كل صفيحة تختص بعرض معين وكان يستدعي ذلك صفائح كثيرة قد تزيد عن الستين، وهذا عمل شاق في حمل هذه الصفائح عند السفر، فقد بذلت جهود لتحسين ذلك، فاستطاع علي بن خلف. الرابع الهجري/العاشر الميلادي. اختراع الصفيحة الجامعة وهي إسقاط مخروطي للكرة على سطح القائمة على فلك البروج، وقد تطورت هذه الصفيحة وادخلت عليها استحسانات حتى وصلت إلى ما وصلت إليه من الدقة في تحديد مطالب التوقيت، وقد ألف عليها عالم من علماء المغرب المتخصصين كتابا سماه "النبذة اللامعة لما يتعلق بالصفيحة الجامعة" وهذا الفاضل هو: أبو الربيع سليمان بن أحمد الفشتالي المتوفى بفاس يومه الثلاثاء فاتح رمضان عام 1208هـ، هو أيضا شارح "رسالة الماردِيني" على الربع المجيب في علم التوقيت، طبع هذا الشرح بالمطبعة الحجرية بفاس بهامش شرح علي الاغزاوي على نظم ابن عاشر على الربع المجيب في علم التوقيت أيضا، كما طبع شرح الفشتالي على رسالة الماردِيني بهامش حاشية سيدي محمد ابن ابراهيم العلمي المتوفى سنة 1954م، طبعت هذه الحاشية على الحجر بفاس.

أما كتابه "النبذة اللامعة" فمازال مخطوطا، وتوجد نسخ منه بالخزانة الملكية، مجموع 1009، ومجموع 1638، ومجموع 259.

وقد وضع هندسة تخطيطها العالم "أبو الحسن علي المراكشي" المتوفى عام 660هـ في كتابه "جامع المبادئ والغايات في علمي الهيأة والميقات" ولنا عودة لتسليط الأضواء على هذا المؤلف في سلسلة نشر هذه المقالات عن الآلات الفلكية بهذه الجريدة.

وهناك مؤلف حافل على الصفيحة الجامعة يسمى "الصفيحة الجامعة" لمؤلفه أبي علي حسين ابن أبي جعفر أحمد ابن يوسف ابن باص الإسلامي السلعلعي أمين أوقات الصلوات بغرناطة، المتوفى عام 716هـ/1316م، وتوجد نسخة من هذا الكتاب بالخزانة الملكية مجموع 4288.

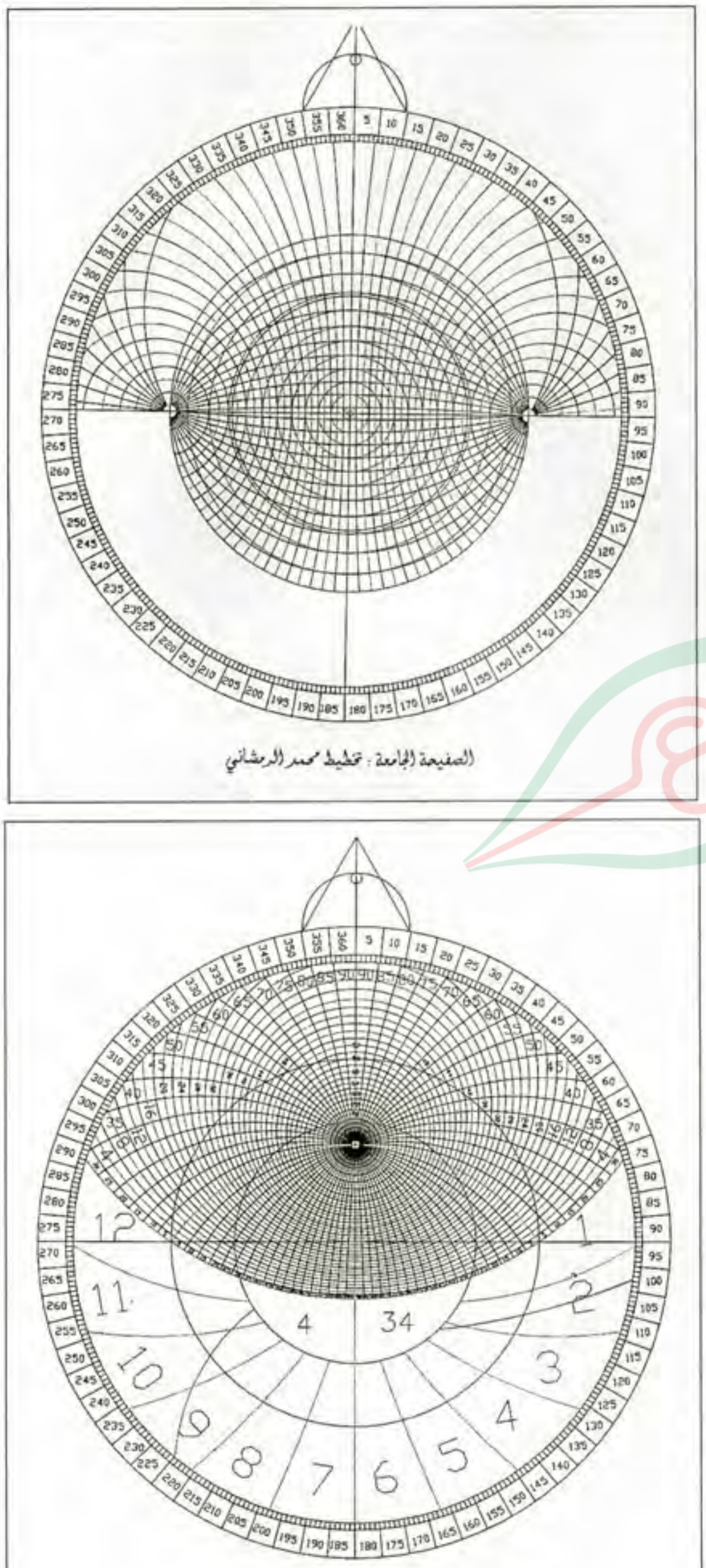

الصفيحة الجامعة : تخطيط محمد الرمشاني

أسطرلاب لعرض الرباط : تخطيط محمد الرمشاني

وترجمة وتحقيق "إيميليا كالبو لابارتا" تحت إشراف المجلس الأعلى للأبحاث العلمية معهد التعاون مع العالم العربي مدريد.

كتاب الصيام (4/8)

■ الفقيه الأستاذ محمد بن لحسن الحسني

لوازم الإفطار: يمكن أن يترتب على الإفطار سبعة أمور:
القضاء.
2. الإمساك .
3. الكفارة .
4 الإطعام.
5 قطع التتابع.
6. قطع النية.
7. التأديب.

يجب القضاء على كل من حصل له عذر اقتضى فطره، كالمرض... أو اقتضى عدم صحة الصوم: مثل الحيض ... أو اختل ركن من صومه عمدا أو سهوا أو غلبة، أو برفع النية نهارا ، أو ليلا وبقي رافضا للنية حتى طلع الفجر، أو اختل بإكراه كصب ماء في حلق صائم، أو جماع نائم، أو بتناول مفطر وهو شاك في طلوع الفجر أو في الغروب ، أو بطروء الشك : كمن أكل وشرب معتقدا بقاء الليل أو غروب الشمس ثم طرأ له شك في الوقت:«لأن طروء الشك مخل بركن الإمساك». فكل من أفطر الفرض قضاه. ويستثنى من قضاء الفرض النذر المعين الذين يفطر فيه لعذر كالمرض والحيض والإغماء والجنون ... فلا يقضي لفوات وقته. فإن زال العذر وبقي من اليوم شيء وجب الإمساك فيه، فإن أفطر في نذره المعين لغير عذر معتبر كالنسيان والخطإ والإكراه وجب إمساك بقية اليوم مع القضاء . أما النذر المطلق إذا أفطر فيه فلا بد من قضائه لأنه ليس له وقت معين، هذا كله في الصوم المفروض رمضان وقضاؤه والكفارات والفدية والنذر...

فإن كان الصوم نفلا فلا يقضي إلا الفطر العمد الحرام. ولا يجب عليه قضاء النفل في الفطر غير الحرام كالنسيان والغلبة والإكراه ، أو العمد غير الحرام كمن أمره أحد والديه بالفطر شفقة عليه ، أو شيخ من شيوخ العلم الشرعي أو الإلتزام بالطاعة. قال تعالى : (ولا تبطلوا أعمالكم) سورة محمد(صلى الله عليه وسلم) / الآية 34 . ومن الذين يجب عليهم القضاء دون الكفارة.

1. من أفطر ناسيا في رمضان.

وللفقيه الطاهري أيضا رحمه الله فيمن أكل في رمضان ناسيا:

يقضي الذي أكل سهوا في صيام
شهر الصيام عند الأصبحي الإمام
وأسقط القضاء عند الجمهور
لما رواه من حديث مأثور
لقوله عليه الصلاة والسلام : من نسي فأكل أو شرب ، فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه، صحيح البخاري 40/3. مختصره ص : 452 رقم 941.

2 . من أفطر جاهلا دخول رمضان بأن ظنه من شعبان ، أو جاهلا حرمة الفطر في رمضان لقرب عهده بالإسلام.

3 . من سبقه الماء في مضمضة مثلا غلبة.

4. من اكره على تناول مفطر.

5. من ابتلع ماء سواك رطب من الجوز مثلا نسيانا أو غلبة.

6. من أفطر بتأويل قريب: وهو حمل اللفظ: على خلاف ظاهرة لظهور موجبه فيكون الاستناد فيه إلى أمر محقق موجود . كمن أفطر ناسيا أو مكروها وظن انه لا يجب عليه الإمساك لفساد صومه فأكمل عمداء ، فعليه القضاء لهذا التأويل...

7 . من قدم من سفر ليلا وظن أنه يباح له الفطر صبيحة تلك الليلة فأفطر.

8. من سافر دون مسافة القصر فظن إباحة الفطر بالشروط السابقة في السفر ونيته.

9. من رأى هلال شوال نهارا ، يوم الثلاثين من رمضان ، فظن أنه يوم عيد فأفطر.

10 . من أصبح جنبا ولم يغتسل إلا بعد الفجر فظن فساد يومه فأفطر.

11 . من احتجم نهارا فأفطر.

12 . من ظن عدم وجوب الإمساك يوم الشك فأفطر ، ثم ثبت أنه من رمضان.

13 . من أفطر لعزمه على السفر في ذلك اليوم فأفطر وسافر فيه..(راجع السفر).

14 . من تسحر قريبا جدا من الفجر أو أذن الفجر وهو يتسحر فظن بطلان الصوم فأفطر وهكذا يجب القضاء فقط على كل ذي شبهة قوية.

الإمساك : الصوم أربعة أنواع ، ولكل نوع حكم في الإمساك بقية اليوم الذي وقع فيه الفطر.

. الأول : الصوم في الفرض المعين: كرمضان والنذر المعين . يجب الإمساك فيه سواء أفطر عمدا أو نسيانا أو غلبة أو إكراها.

. الثاني : الصوم المضمون في الذمة كالنذر غير المعين، وكفارة اليمين والتمتع والجزاء مما لا يجب في التتابع. يندب الإمساك فيه سواء أفطر عمدا أو غلبة أو نسيانا أو إكراها .

. الثالث : الصوم في الفرض غير المعين الذي يجب فيه التتابع كالشهرين المتتابعين في الكفارات ، فإن كان الفطر عمدا فلا يطلب الإمساك لفساده ، وإن كان غلبة أو سهوا وجب الإمساك إذا كان ذلك في غير اليوم الأول ، وندب الإمساك إن كان في اليوم الأول فالعمد يقطع. التتابع والفطر في اليوم الأول يفسده ويستأنف . ولا شيئ في نسيان وشبهه ويقضيه.

. الرابع: الصوم في النفل والتطوع ، فالإمساك فيه واجب إن أفطر لنسيان ونحوه، غير واجب في العمد الحرام لأنه ما أفطر عمدا إلا ليأكل.

وللفقيه الطاهري أيضا رحمه الله في من أكل عمدا في صيام النفل:

من في صيام النفل عمدا أكلا
يقضي ، وفي الإتمام خلف نقلا
والقول بالإتمام قول رادع
لعامد فهو قول نافع

الكفارة :

شروطها: لا تجب الكفارة إلا بشروط خمسة:

1. العمد فلا كفارة على الناسي.

2. الاختيار. فلا كفارة على مكره ولا على من أفطر غلبة.

3. الانتهاك لحرمة الشهر المعظم : رمضان. فلا كفارة على من أفطر في قضاء رمضان ولو عمدا، ولا على تأول تأويلا قريبا (وسيأتي).

4. أن يكون عالما بالحرمة، فلا كفارة على حديث عهد بالإسلام لا يعرف أحكامه، فجامع مثلا.

5. أن يكون الصوم في شهر رمضان فلا كفارة في غير رمضان.

التوبة والإنابة إلى الله

■ إعداد الأستاذ : محمد أصبان

■ جرت عادة الناس على ترتيب البيوت وتنظيفها استعدادا لاستقبال حدث أو مناسبة ، أو قادم عزيز، فطهروا قلوبكم ، وحسنوا نياتكم ، واستجيبوا لربكم.

وهاهو ضيف كريم عزيز سينزل بساحتنا ، ويحل بديارنا إنه شهر رمضان الوافد علينا بالخير والبركات .ونعم الوافد . إنه فرصة ومناسبة للخاطئين والمذنبين ليعودوا إلى ربهم إنه محطة يتوقف فيها المسلمون ليزداد الذين آمنوا إيمانا ، وليتوقف المسرفون على أنفسهم ، ياباغي الخير أقبل ويا باغي الشر أقصر.

إن التوبة هي مفتاح أبواب الرحمات ، والرجوع إلى الله هو أساس العبادات.

هاهم الصفوة المختارة من البشر. أنبياء الله ورسله . يتضرعون إلى الله بالإنابة إليه كما يحكي القرآن الكريم، هذا آدم عليه السلام يقول :(ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)

وهذا كليم الله موسى عليه السلام يقول :(سبحانك تبت إليك وأنا أول المؤمنين)

وهذا إبراهيم خليل الرحمن يقول :(ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم)

إذا كان هؤلاء الصفوة يتضرعون إلى ربهم فكيف بنا . معشر المسيئين والمذنبين ؟ قال تعالى « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون)

أخرج البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال« التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بربه»

(ياأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار)

(ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما

إننا في أوقات حيازة الرضى فهل نسارع إلى التوبة ؟ إننا في محطة مَحْو الأوزار فهل نحن نادمون؟ هذا شهر « العبد يدعوا والرب يجيب ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاكر الله في رمضان مغفور له، وسائل الله فيه لا يخيب.

(قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، إن الله يغفر الذنوب جميعا، إنه هو الغفور الرحيم.

وقوله تعالى« ... إلا من تاب وعمل صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات ، وكان الله غفورا رحيما».

إن آيات التوبة تفتح الأمل في النفوس ، والرجاء في القلوب، فما علينا إلا المسارعة إلى الإنابة والرجوع إلى منهج الله تعالى بالقول والعمل بالمنهج والسلوك لندخل في زمرة الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

إن العيب ليس في الخطأ ، فكل ابن آدم خطاءون ولكن العيب هو في الاستمرار على الخطأ ، والإصرار على المعاصي، وخير الخطائين التوابون(ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ، ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما)

جاء في حديث مسند أن رجلا يومر به إلى النار ، فإذا بلغ ثلث الطريق التفت ، وإذا بلغ نصفها التفت وإذا بلغ الثلثين التفت فيقول الله عز وجل وهو أعلم بحاله ردوه إلي ؛ ثم يسأله لم التفت؟ فيقول الرجل يارب لما بلغت ثلث الطريق تذكرت قولك : وربك الغفور ذو الرحمة ، فقلت لعلك تغفرلي ، فلما بلغت النصف تذكرت قولك: وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ، فقلت لعلك تغفر لي ، فلما بلغت الثلثين تذكرت قولك: قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم ، فازددت طمعا في رحمتك وعفوك فقال الله له: اذهب فقد غفرت لك.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر.

فلنسارع إلى التوبة إلى الله بصدق وإخلاص ولنبتعد عن الرذائل والموبقات بكل أنواعها لنسعد في دنيانا، ونفوز في أخرانا (وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى)

لنطهر قلوبنا نحسن نياتنا (إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد».

ومن أراد أن يعرف منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإن الله ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه. (سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيض والعافين عن الناس ، والله يحب المحسنين) والله يقول الحق ، وهو يهدي السبيل.

أولوا العزم من الرسل

■ الأستاذة: نبوية الناصري

سيدنا محمد (ﷺ)

(هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيدا)
صدق الله العظيم

الكتاب إلى النجاشي

في آخر سنة ست من الهجرة أو في محرم من السنة السابعة، حمل عمرو بن أمية الضمري كتاب رسول الله (ﷺ)إلى نجاشي الحبشة" أصحمة بن الأبجر، ودخل عمرو على النجاشي،فقرأ الرسالة، وإذا فيها: هذا كتاب من محمد النبي إلى النجاشي الأصحم عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدا، وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الإسلام، فإني أنا رسوله فأسلم تسلم: (يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)، فإن أبيت فإن عليك إثم النصارى من قومك. وهنا وضع النجاشي الكتاب على عينيه، ونزل عن سريره إلى الأرض، وأسلم على يد جعفر بن أبي طالب.

الكتاب إلى المقوقس ملك مصر

بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد، فإني ادعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم القبط (ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) كان هذا هو نص الكتاب الذي قدم به حاطب بن أبي بلتعة، على المقوقس جريج بن متى ملك مصر والإسكندرية، ودارت بينهما محاورة، أكد فيها حاطب على قرب النصارى من الإسلام واحترام الإسلام لعقيدتهم، وكونه امتدادا للرسالات السماوية السابقة، وأجاب المقوقس بكلام طيب عن النبي(ﷺ)وبأنه كان يعلم بقرب خروج نبي لكنه كان يحسبه يخرج من الشام، لكن المقوقس كما لم يرفض الإسلام، لم يدخل فيه، وأكرم حاطبا، ثم بعث معه جاريتين لهما مكان عظيم في القبط، هما مارية وسيرين، كما أرسل معه بغلة كهدية للنبي، وقد اتخذ رسول الله . صلى الله عليه وسلم . مارية زوجة له، وأعطى سيرين لحسان بن ثابت.

الكتاب إلى كسرى ملك فارس

أرسل النبي . صلى الله عليه وسلم . عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك فارس، برسالة قال فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس، سلام على من اتبع الهدى، وآمن بالله ورسوله، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأدعوك بدعاية الله، فإني أنا رسول الله إلى الناس كافة لينذر من كان حيا، ويحق القول على الكافرين، فأسلم تسلم، فإن أبيت فإن إثم المجوس عليك. وقرأ الكتاب على كسرى فمزقه، وقال في غطرسة: عبد حقير من رعيتي يكتب اسمه قبلي. أهذا ماجال بخاطر كسرى؟! كيف يكتب اسم محمد قبل اسمه؟ حقا إن ملكا هذا عقله ملكه لا ينبغي له أن يدوم، وقد قال رسول الله (ﷺ)حين بلغه ما صنع كسرى: مزق الله ملكه. فكان ما قال، فقد كتب كسرى إلى باذان عامله باليمن: ابعث إلى هذا الرجل بالحجاز رجلين جلدين، فليأتياني به. وأسرع باذان بإنفاذ أمر سيده، وفوجئ المسلمون برسولي باذان يدخلان على النبي (ﷺ)وأحدهما يأمره أن ينهض معه ليمثل أمام كسرى! ولم يعنف النبي (ﷺ)واحدا من الرسولين، إنما طلب منهما أن يلاقياه غدا، فلما جاءاه أخبرهما أن الوحي أعلمه بقتل كسرى على يد ابنه، وانتهاء ملكه، وأمرهما أن يقولا للملك الجديد: إن أسلمت أعطيتك ماتحت يدك، وملكتك على قومك من الأبناء. فعاد الرسولان إلى باذان يتعجبان، وبعد قليل جاء كتاب من شيرويه بن كسرى بقتل أبيه، وعدم رغبته في التعرض لمحمد، فكان ذلك سببا في إسلام باذان، ومن معه من أهل فارس باليمن.

الكتاب إلى قيصر ملك الروم

وصل دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم، عن طريق عظيم بصرى، حاملا معه رسالة محمد، فلما علم ما فيها أرسل إلى أبي سفيان ومن معه من كفار قريش . وقد خرجوا بتجارتهم إلى إيليا بالشام . فدخلوا عليه، وأجلس قيصر أبا سفيان أمامه وجعل من معه من التجار خلف أبي سفيان، وأمره أن يصدقه وإلا فإن قومه سيكذبوه، وبدا قيصر يستفسر عن محمد (ﷺ) وعن دينه، ومن معه، فأجابه أبو سفيان بأنه من أشرفهم نسبا وبأن أحدا لم يأت بدعواه من قبل، فهو ليس بمقلد، ولم يكن أبوه ملكا يبحث عن ملكه الضائع، وبأنه غير متهم فيهم بالكذب، ولايعرف عنه الغدر، وأن أتباعه الضعفاء، وهم يزيدون ولا يرتد منهم أحد، وأنه يأمر العرب أن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئا، وينهاهم عن عبادة الأوثان، ويأمرهم بالصلاة والصدق والعفاف، وهنا انطلقت كلمات قيصر قارعة بالحق أسماع من حضر من مشركي قريش: إن كان ماتقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عند قدميه. ثم أخرج مشركي قريش من مجلسه، وأعطى دحية مالا وكسوة هدية له.

الكتاب إلى المنذر بن ساوى

إن المنذر بن ساوى حاكم البحرين حين وصلته رسالة رسول الله . (ﷺ) . مع العلاء بن الحضرمي، بعث إلى النبي (ﷺ) كتاب يقول فيه: أما بعد يارسول الله، فإني قرأت كتابك على أهل البحرين، فمنهم من أحب الإسلام وأعجبه، ودخل فيه، ومنهم من كرهه، وبأرضي مجوس ويهود، فأحدث إلي في ذلك أمرك. فأجابه النبي . (ﷺ) قائلا: بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى المنذر بن ساوى، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد فإني أذكرك الله عز وجل، فإنه من ينصح لنفسه، وإنه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني، ومن نصح لهم فقد نصح لي، وإن رسلي قد أثنوا عليك خيرا، وإني قد شفعتك في قومك، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه، وعفوت عن أهل الذنوب، فاقبل منهم، وإنك مهما تصلح فلم نعزلك عن عملك، ومن أقام على يهودية أو مجوسية فعليه الجزية. وهكذا دخل الإسلام البحرين دون قتال أو إلزام على أهلها المسالمين.

غزوة خيبر:

خيبر، المدينة الكبيرة ذات الحصون والقلاع والمزارع، ومقر اليهود بأرض العرب، هذه المدينة صارت وكرا للمؤامرات والدسائس، ومنها انطلقت اليهود لتحزيب الأحزاب، وفيها حيكت المؤامرة لاغتيال النبي . صلى الله عليه وسلم . ومن خلالها يتم الاتصال بالمنافقين في المدينة، وبالأعراب حولها، وكانت تجرى المفاوضات على قدم وساق، لتأليب غطفان وأعراب البادية، ظل محمد . صلى الله عليه وسلم . ومن آمن معه، نعم لم يستطع المسلمون أن يطهروا هذا الجيب من قبل لانشغالهم بحرب قريش، ولكن ما الذي يمنعهم الآن؟ وقد عقدوا مع قريش صلح الحديبية؟ قرر رسول الله . صلى الله عليه وسلم . الخروج إلى خيبر، وبالطبع فإن منافقي المدينة قد بادروا بإعلام اليهود، لكنه . (ﷺ) مضى في طريقه إلى خيبر مع جيشه، حتى وصل إلى أسوارها، وتتالت الفتوح على النبي (ﷺ) والمسلمين بداية من فتح حصن ناعم، ثم فتح حصن الصعب بن معاذ، وفتح قلعة الزبير، وقلعة أبي، ومرورا بفتح حصن النزار، إلى فتح حصون الشطر الثاني من خيبر، ولما فتحت حصون يهود جميعها، ولم يبق لهم سوى حصنهم الأخير، لجأوا إلى المفاوضة، ففاوضهم النبي(ﷺ)وقسم غنائمهم. ومن الأحداث التي واكبت هذه الغزوة قدوم جعفر والأشعريين إليه في نهايتها، وزواجه من السيدة صفية بعد أن أعتقها من السبي، ووقوع حادثة الشاة المسمومة، التي أريد بها اغتياله(ﷺ) ولما انتهى الرسول من فتح خيبر، لم يرجع حتى يصفي جيوب اليهود الصغيرة الباقية، فبدأ بفدك، ثم وادي القرى، فتيماء، ثم عاد إلى المدينة(ﷺ) مع جيشه المنصور، وحتى يأمن خطر الأعراب على ظهره بالمدينة أثناء الغزو، لم يغفل النبي (ﷺ)عن بعث سرية أبان بن سعيد، لإرهابهم ودرء شرهم، وقد فرغ أبان بن سعيد من سريته، ثم لحق بالمصطفى . صلى الله عليه وسلم . في خيبر وقد فتحها.

الشاة المسمومة

لم يقتل رسول الله . صلى الله عليه وسلم . يهود خيبر لمحاربتهم وغدرهم، ولم يجلهم عن أرضهم التي حولوها وكرا للدس والتآمر، بل تركهم ونساءهم وذراريهم، يعمرون مزارعهم ويأخذون شطر ماحصدوا، لكن امرأة سلام بن مشكم: زينب بنت الحارث لم يرضها ذلك، وقابلت الإحسان بالإساءة، فصلت شاة ودست بها السم، وأكثرت منه في الذراع، لعلمها بأنه الأحب إلى رسول الله (ﷺ)في طعامه، وحملت زينب شاتها المسمومة وذهبت إلى النبي(ﷺ)باسمة ضاحكة، حتى وضعتها بين يديه، هدية من امرأة بسيطة لنبي عظيم، وتناول النبي (ﷺ) الذراع ثم لاكها بفمه، وكذلك أكل منها بشر بن البراء بن معرور، لكن النبي . صلى الله عليه وسلم . لفظ مضغته، وطرح طعامه، وقال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت، ومرة أخرى قدم النبي . صلى الله عليه وسلم . الإحسان على الإساءة، فعفا عنها وتركها، حين أجابته عن سؤاله: ما حملك على ذلك؟ بقولها: قلت: إن كان ملكا استرحت منه، وإن كان نبيا فسيخبر. لكن بشرا مات بعد ذلك من أثر السم، فلم يكن هناك مفر من قتلها قصاصا.

تأملات وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

المسيرة الخضراء منارة مشعة لتحرير باقي الأراضي المغربية

على أرض الكفاح والنضال ، وفي جنوب المغرب شهد تاريخنا المعاصر في شهر نونبر من سنة 1975 أياما جهادية غراء احتشد خلالها تحت قيادة الملك الحسن الثاني رحمه الله شعب كامل ممثلا في أبنائه المتقاطرين زرافات ووحدانا من جميع أنحاء الوطن ، من كافة المداشر والقرى والحواضر، من مختلف السهول والجبال والصحاري والأودية والشعاب، من شمال المغرب ومن شرقه وغربه متجندين متكاثفين متراصي الصفوف على صعيد واحد في مظهر رائع لأقوى إرادة، وأمضى تصميم ، على خوض المعركة، وقد رفعوا المصاحف الكريمة هاتفين بوحدة الوطن.

وكان زحفا تاريخيا عظيما سجل انطلاقته يوم 6 نونبر ، تلبية لنداء الملك هدفه إنهاء وجود الاحتلال الأجنبي لأرض الوطن في الصحراء المغربية، وكان حماسا شعبيا ساد الزاحفين الذين تراصت صفوفهم، وتقوت عزائمهم، وتعمق وعيهم ، وبذلك جسد التاريخ مسيرتنا الخضراء ، وكانت لحظات ظفر وفوز في معركة الوطن ضد الاستعمار وملحمة خالدة صنع تلاحمها العرش والشعب، وأبرز المغرب بمسيرته المظفرة معلمة فذة ورائدة على مستوى الفكر والنهج النضالي ، ما فتئت تستأثر إلى يومنا هذا بأنظار واهتمام قادة الفكر وذوي الرأي والمحللين والمراقبين في أنحاء العالم.

لقدانبثقت المسيرة الخضراء التي صاغها جلالة المرحوم الحسن الثاني فكرة وأسلوبا وقادها عملا وممارسة، وكلل نتائجها نجاحا وتوفيقا عن ينابيع روحية أصيلة ومميزة وحضارية عريقة، وذات بعد وطني،مرتبطة بدينامية التاريخ المغربي الزاخر بمسيرات التحرير انطلاقا من عهود الدعوة الاسلامية والصمود العظيم في مجابهة الغزو البرتغالي ومقاومة للمد التوسعي الاستعماري والانتصار الباهر في معركة وادي المخازن.

لقد عبرت المسيرة الخضراء عن دلالات بليغة على صعيد التحرير الوطني وما فجرته من طاقات في هذا المجال أزاحت ظل الاحتلال، عن الصحراء المغربية.

واليوم ، وفي ذكرى المسيرة نستجلي عظمة الملحمة باعتبارها إطارا لاستقطاب فاعلية العقيدة كقوة حفز وفعل وإنجاز، هي منارة مشعة على الطريق الذي ينطلق فيه كفاح الوطن ملكا وحكومة وشعبا، لتحرير باقي الأراضي التي لا يزال الاستعمار يحتلها بالرغم من قرارات الشرعية الدولية التي تنادي بتصفية الاستعمار، ومنها سبتة ومليلية الرازحتين تحت نفوذ المحتل.

الفقه المالكي تأصيله وتلقينه في بلاد المغرب

-الحلقة الثانية-

■ إعداد الأستاذ : محمد المهدي بوزيد

■ وأول شيخ تلقى عنه الإمام مالك العلم هو : ربيعة الفقيه المدني ثم لزم ابن هرمز مدة من الزمن فأخذ عنه علم الحديث، وأخذ عن ابن شهاب الزهري خاصة في ميدان الفتيا. كما أخذ عن نافع ابن عبد الرحمان المقرئ وأخذ عن محمد بن المنكدر أفقه الناس في عصره قبل أن عدد شيوخ الإمام مالك بن أنس قد فاق تسعمائة شيخ بين التابعين وتابع التابعين ، روى ابن البر في الإنتقاء والقاضي عياض في المدارك أن مالكا كان يحرص على كل ما سمعه من شيوخه وقالا : إن ابن شهاب الزهري حدث مالكا بأربعين حديثا فقال له: زدني ، قال له حسبك : إن كنت رويت هذه الأحاديث فأنت من الحفاظ، فقال مالك: قد رويتها فجدب له ابن شهاب الألواح من يده ثم قال : له حدث فحدثه بها فرد له ألواحه وقال قم فأنت من أوعية العلم.

وبعد أن انتهى مالك من مرحلة الدرس والطلب وجمع العلم الغزير تصدى للتدريس في المسجد النبوي وتحلق حوله طلبة العلم وكثر عددهم وحظي باهتمام الناس وإقبالهم عليه حتى أصبح مقصدا لطلب العلم والفتوى من كل فج عميق .

وقد وضع الإمام مقياسا للبدء بعد طلب العلم للتصدي للفتيا والتدريس فقال كما روى عنه صاحب المدارك " ليس كل من أحب أن يجلس في المسجد للحديث وللفتيا جلس حتى يشاور فيه أهل الصلاح والفضل ، فإن رأوه لذلك أهلا جلس ، وما جلست حتى شهد لي سبعون شيخا من أهل العلم ، أني موضع لذلك فقد بلغ مالك درجة من العلم أهلته لأن يكون أفقه الناس وأعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت تضرب إليه أكباد الإبل طلبا للعلم والمعرفة فانطبق عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (يوشك أن يضرب الناس أكباد الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحدا أعلم من عالم المدينة) فنفع الله به كثيرا من خلقه، وخير دليل كتابه (الموطأ) الذي جمعه وخلفه من ورائه ، وهو يعد أول كتاب تناقلته الأجيال ، وهو كتاب جمع الحديث والفقه معا. وقد اختلف العلماء في سبب تسميته الموطأ ولكن الأرجح أن مالك هو الذي سماه فروي عنه قال:(عرضت كتابي هذا على سبعين فقيها من فقهاء المدينة فكلهم واطأني فسميته الموطأ.

وكتاب الموطأ يحتوي على أحاديث متصلة وأحاديث مرسلة وأحاديث منقطعة وأحاديث موقوفة، وبلاغات وأقوال الصحابة والتابعين.

وذكر الدكتور عمر الجيدي رحمه الله أن أول من أدخل كتاب الموطأ إلى المغرب هو القاضي عامر بن محمد القيسي، وكان قد سمع من مالك والثوري ، وقد تم ذلك في عهد إدريس ، وأن هذا الأخير حمل الناس على تعلمه وتعليمه ، وبذلك يكون الموطأ أول كتاب حديث دخل المغرب، وبسبب انتقال الموطأ إلى المغرب تم تحول المغاربة من المذهب الحنفي إلى المذهب المالكي، إذ لم يكد القرن الرابع الهجري يطل حتى كان المذهب المالكي قد انتشر في المغرب وتجدرت أصوله وفروعه في كل البلاد معتمدة على حركة التأليف التي جمعت أطراف الفقه كما سبقت الإشارة وعلى رأس ذلك (المدونة) للإمام عبد السلام سحنون المتوفى سنة 240 هـ وتعد أقدم كتاب وصل إلى المغرب في المذهب المالكي بعد الموطأ إجابة عن أسئلة فقهية سأل عنها أسد بن الفرات المتوفي في 213 هـ شيخه عبد الرحمان بن القاسم المتوفى هـ فأجاب عنه هذا الأخير لما سمعه عن شيخه مباشرة مالك بن أنس ومالم يسمعه اجتهد رأيه فيه ، ثم سمعها الإمام عبد السلام سحنون من شيخه أسد بن الفرات وما أضافه هذا الأخير هو من اجتهاده مالم يرو عن الإمام مالك ولا عن ابن القاسم ، إلا أن الشيخ سحنون قد رحل بما سمعه إلى ابن القاسم للتأكد من السماع فأصّل بذلك المدونة ثم هذبها ونسقها ، وبوبها وألحق بها اجتهادات أخرى من أصحاب مالك فأصبحت المدونة هي أصل المذهب وعمدة الفقهاء في القضاء والإفتاء وبها كان الفقهاء يتناظرون ويتذاكرون وإليها كانوا يرجعون فيما أشكل عليهم من المذهب . إلا أن المغاربة قد اهتموا بالمدونة اهتماما بالغا واعتنوا بها عناية فائقة إذ اهتموا بحفظها عن ظهر قلب كحفظ القرآن ، وكان بعضهم يكتبها في الألواح كما يكتب القرآن وأمر طلبته بالحفظ والاستظهار، وخير دليل على ذلك عندما أحرق الموحدون كتب الفروع وضمنها المدونة . كتبت من حفظ حامليها في الصدور . وعلى رأسهم عبد الله بن عيسى التادلي.

أما (الواضحة): فهي من تأليف عبد المالك بن حسن المتوفي 238 هـ كان لها اهتمام عند أهل الأندلس خاصة عندما استحسنها ابن حزم ، ثم خرجوا عنها وأقبلوا على العتبية . وهي للفقيه محمد بن أحمد بن عبد العزيز العتبي القرطبي المتوفي 254 هـ . وهي وقد سمى الكتاب بالعتبية نسبة إليه، وسمى كذلك بالمستخرجة لأنه استخرجها من الروايات عن الإمام بواسطة تلاميذه وتلاميذهم.

ثم هناك الموازية لمحمد ابن ابراهيم المعروف بابن المواز المتوفي 269 وهذا المصنف يعد من أجل كتب المالكية ، وقد أشار سيدي عبد الله كنون في كتابه (النبوغ) إلى أن الموازية قد دخلت إلى بلاد المغرب وكانت تدرس على يد من أدخلها وهو الشيخ الفقيه دارس ابن إسماعيل الفاسي. المتوفي سنة 357هـ بمسجد يعرف باسمه في فاس بحي مصمودة.

وقد اختصر الموازنة بينهما وبين العتبية الفقيه فضل بن سلمة الجهني توفي 319 هـ.

❖ هذه هي الأمهات الأربع التي اعتمدت في نشر مذهب الإمام مالك في الغرب الإسلامي إلا أن المدونة تحتل الصدارة لا ينافسها في ذلك أي مؤلف من المؤلفات حتى بدأت تظهر المختصرات وأولها كتاب التهذيب لخلف بن أبي القاسم البرد فاهتم به المدرسون وأصبح مقررهم في حلقات التدريس إلى أن ظهر مختصر بن الحاجي فعكف عليه أهل التدريس محل سالفه حتى وصل إليهم كتاب أشد اختصارا من هذين وهو مختصر الشيخ خليل ابن إسحاق توفي 776 هـ ، ففتح له الفقهاء صدورهم وأفسحوا له المجال في حلقاتهم وحفظوه واستظهروه كما كانوا يستظهرون القرآن وتنافسوا في شروحه حتى كثرت إذ كان لا يدرس إلا بشروحه نظرا لغموضه وتعقيده عند المبتدئين.

إلا أن الاهتمام البالغ بهذه المصادر وانتقال المدرسين من مصدر إلى آخر بمجرد ظهوره واعتماده في التلقين ليوضح أن طريقة التدريس والتلقين في المدرسة المغربية كانت تعتمد على الحفظ ثم التحصيل والتعمق بالبحث بعد ذلك. حتى عرفت المدرسة المغربية بمدرسة الحفاظ كما أشار إلى ذلك ابن خلدون في مقدمته عدة مرات. ويقول الدكتور عمر الجيدي رحمه الله (والمغاربة حينما اهتموا بالحفظ كان هدفهم أن لا يحرموا النشء من استظهار كتاب الله وهو عادة لا يحفظ إلا في مرحلة مبكرة من العمر ولعل هذا كان هدفهم الأكبر لأنهم كانوا يدركون بالضرورة ، أن المرء عندما يتقدم في السن يصعب عليه . إن لم يستحل. أن يستظهر كتاب الله وهو كانوا ومايزالون أحرص الناس على حفظه، على أن المدرسة الإسلامية كانت عموما تعتمد على الذاكرة وتعتبرها أهم وسيلة في تحصيل العلم، وما تزال هي الوسيلة السائدة بين الدارسين حتى الآن في مختلف مراحل التعليم ...) وقد سبقت الإشارة إلى أن الحفظ لكتب العلم كالمدونة ومختصر خليل وكذلك رسالة ابن أبي زيد القيرواني التي تعد ثالث كتاب في الفقه المالكي بعد الموطأ والمدونة ، بل وقد حظي بالقبول عند الناس والإنتشار والعناية والإقبال مالم يحظ به أي مؤلف غيره. ولا يضاهي رسالة ابن أبي زيد في هذه المنزلة إلا الموطأ والمدونة . فقد اهتم الدارسون، والشيوخ وكذا طلبة العلم بهذه المصنفات وجعلوا متونها أدلة يكتفون بها دون حاجة إلى الرجوع إلى نصوص من القرآن ومن الحديث النبوي وهذا ليس لجهل هؤلاء بالنصوص وإنما لثقتهم بشيوخهم الذين مهدوا لهم الفقه والتفقه ، ودونوا فروعه عن صاحبه ثم إنهم لم يفعلوا إلا بعد أن وقفوا على الأدلة التفصيلية الراجعة إلى كتاب الله وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم التي تجدرت في بلاد المغرب منذ القرن الثالث الهجري. ولا يخفى على أي أحد اعتناء المغاربة الكبير بكتب الصحيح لما وصلت إليهم فاهتموا بها وشرحوها وعلقوا عليها واختصروها.

والمغرب ولله الحمد وإلى عصرنا هذا ما خلا من علماء حافظوا على وحدة مذهبه ونشر العلم بربوعه، ومن المدافعين عن السنة والدعوة إليها.

وأختم هذا البحث المتواضع بأن أسأل الله تعالى أن تحصل به الاستفادة والله الموفق للصواب والله أكبر ولله الحمد .

الإسلام وترسيخ ثقافة الحوار الحضاري

للدكتور حسن عزوزي- كلية الشريعة بفاس

■ لا يتجادل اثنان في كون الدعوة إلى حوار الحضارات تعتبر سمة من سمات النصف الثاني من القرن العشرين الذي أفل منذ أزيد من عام، وكأنما أدرك العالم بعد اكتوائه بلظى حروب عالمية مدمرة ان البشرية لا تستطيع أن تتحمل حروبا أخرى بعد أن حصدت ويلات كثيرة أسهمت في تفاقم المشكلات الجوهرية الكبرى التي ظل يعاني منها كل من الغالب والمغلوب ، لذلك بادرت جهات ومؤسسات كثيرة في العالم إلى تبني الدعوة إلى حوار الحضارات أملا في الالتقاء على مبادئ موحدة وقواسم مشتركة بين أتباع مختلف الحضارات تكون كفيلة بفتح الطريق للتفاهم والتعاون والتعايش .

لقد دعت محافل ومنظمات كثيرة إلى حوار الحضارات منذ الستينيات من القرن المنصرم ثم انتهى الحوار إلى أوراق نشرت في كتب وأذيعت في صحف لكنها لم تثمر نتائج ملموسة حتى الآن ، وعندما ترددت في أرجاء العالم السياسية والفكرية نظرية " هنتجتون" عن "صدام الحضارات" كان البديل المنطقي الذي تمت المسارعة إلى استدعائه هو " حوار الحضارات " الذي تمت الدعوة إليه بقوة في جميع المحافل والملتقيات والعمل على إنجاحه قصد تجنيب العالم ويلات الصراع وكوارث الصدام الحضاري ، وإذا كانت جهات غربية كثيرة قد دأبت على الدعوة إلى حوار الحضارات وفق شروط وضوابط معينة أملتها ظروف التفوق والاستعلاء الغربي، فإن الطرف الإسلامي لم يكن بعيدا عن فكرة تنظيم مؤتمرات وملتقيات دولية لترسيخ آليات الحوار الحضاري من طرف مؤسسات ومنظمات ثقافية إيمانا منها بأن " حوار الحضارات " يعتبر مطلبا إسلاميا ملحا يدعو إليه القرآن الكريم وتبشر به السنة النبوية الشريفة.

وبقدر ما تعظم الحاجة إلى حوار جدي بين الثقافات والحضارات لإقامة جسور التفاهم بين الأمم والشعوب ولبلوغ مستوى لائق من التعايش الثقافي والحضاري تقوم الضرورة القصوى لتهيء الأجواء الملائمة لإجراء هذا الحوار ولإيجاد الشروط الكفيلة بتوجيهه الوجهة الصحيحة . إن نقطة الانطلاقة الأولى لأية استجابة فعالة تبدأ من خلال فهم الذات وفهم الآخر، فالبداية أن نتعرف على واقعنا كما هو بالفعل دون رهبة أو خجل ودون تهوين أو تهويل، ثم التعرف على الآخر وفهمه وهو هنا الغرب وحضارته.

إن الانعزال والتقوقع والانغلاق على الذات في عالم اليوم تحول إلى قرية صغيرة بحكم التطور التقني الهائل في تكنولوجيا الاتصال أمر مستحيل ، كما أن الانسياق وراء الدعوة إلى حضارة عالمية واحدة هو بحد ذاته عملية تكريس لانتصار الحضارة الغربية الكاسحة وهو طريق التبعية الحضارية الذي يفقدنا خصوصياتنا الحضارية ويحولنا إلى مجرد هامش لحضارة الغرب .

إن التقاء الحضارات معلم من معالم التاريخ الحضاري للإنسانية ، وهو قدر لا سبيل إلى مغالبته أو تجنبه، وقد تم دائما وأبدا وفق هذا القانون الحاكم التمييز بين ماهو مشترك إنساني عام وبين ماهو خصوصية حضارية.

ولا شك أن الخيار البديل لصدام الحضارات هو أن تتفاعل الحضارات الإنسانية مع بعضها البعض بما يعود على الانسان والبشرية جمعاء بالخير والفائدة ، فالتفاعل عملية صراعية ولكنها متجهة نحو البناء والاستجابة الحضارية لتحديات الراهن، عكس نظرية" صدام الحضارات" التي هي مقولة صراعية تدفع الغرب بإمكاناته العلمية والمادية لممارسة الهيمنة ونفي الآخر والسيطرة على مقدوراته وثرواته تحت دعوى وتبرير أن نزاعات العالم القادمة سيتحكم فيها العامل الحضاري .

والإسلام كدين وحضارة عندما يدعو إلى التفاعل بين الحضارات ينكر (المركزية الحضارية) التي تريد العالم حضارة واحدة مهيمنة ومتحكمة في الأنماط والتكتلات الحضارية الأخرى. فالإسلام يريد العالم (منتدى حضارات) متعدد الأطراف ، ولكنه مع ذلك لا يريد للحضارات المتعددة أن تستبدل التعصب بالمركزية الحضارية القسرية ، إنما يريد الإسلام لهذه الحضارات المتعددة أن تتفاعل وتتساند في كل ما هو مشترك إنساني عام.

وإذا كان الإسلام دينا عالميا وخاتم الأديان فإنه في روح دعوته وجوهر رسالته لا يرمي إلى تسنم (المركزية الدينية) التي تجبر العالم على التمسك بدين واحد ، إنه ينكر هذا القسر عندما يرى في تعددية الشرائع الدينية سنة من سنن الله تعالى في الكون ، قال تعالى« لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات) سورة المائدة/ الآية48.وقال أيضا « ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ، سورة هود / الآية119.118.

إن دعوة الإسلام إلى التفاعل مع باقي الديانات والحضارات تنبع من رؤيته إلى التعامل مع غير المسلمين الذين يؤمنون برسالاتهم السماوية ، فعقيدة المسلم لا تكتمل إلا إذا آمن بالرسل جميعا « امن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله و ملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله ، سورة البقرة / الآية :284. بيد أنه لا يجوز أن يفهم هذا التسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساسا راسخا لعلاقة المسلم مع غير المسلم على أنه انفلات أو استعداد للذوبان في أي كيان من الكيانات التي لا تتفق مع جوهر هذا الدين. فهذا التسامح لا يلغي الفارق والاختلاف ولكنه يؤسس للعلاقات الإنسانية التي يريد الإسلام أن تسود حياة الناس، فالتأكيد على الخصوصيات العقائدية والحضارية والثقافية، لا سبيل إلى إلغائه ، ولكن الإسلام لا يريد لهذه الخصوصيات أن تمنع التفاعل الحضاري بين الأمم والشعوب والتعاون فيما بينها.

وفي سياق التفاعل الحضاري المنشود يمكن القول باحتمال أن تتقدم حضارة على أخرى بهذا الجانب أو ذاك كما هو الشأن بالنسبة للحضارة الغربية في عالم اليوم ، ولكن القول بأفضلية حضارة على اخرى هو قول متهالك ، فمن يستطيع إثبات أن هذه الحضارة أفضل من تلك أو أغزر ثقافة أو حكمة وإنسانية وتسامحا إنه لايوجد في الواقع أي مقياس أو معيار نقيس به هذه الأفضلية في كل الجوانب ؟ هذا من جهة ومن جهة أخرى كيف يمكن الاقتناع بأن العلاقة بين الحضارات محكومة بعلاقة الصراع لا التفاعل والحوار، وأن انتصار حضارة في هذا الصراع هو انتصار أبدي ، وهل هناك أبدي باستثناء القيم العليا للإنسانية قيم الحق والخير والسلم والتعاون والتسامح والمشاركة في الحضارة واحترام الآخر وحقوق الانسان والشعوب وثقافاتها وتقاليدها وقيمها الروحية والمادية وتجاربها ومنجزاتها؟

إن شرط ازدهار هذه القيم في أية حضارة يرتبط أساسا بمدى قدرتها على التفاعل مع معطيات الحضارات الأخرى ومكوناتها وبالتالي الاعتراف بهذه الحضارات ومحاورتها وقبول تعددية الثقافات وتفهم مفاهيم وتقاليد الآخرين، واعتبار الحضارة الانسانية نتاجا لتلاقح وتفاعل هذه الحضارات لا صراعها فيما بينها أو استعلاء بعضها على البعض الآخر. والحضارة الإسلامية منذ نشوئها وتكونها لم تخرج عن هذا الإطار التواق إلى التفاعل مع الحضارات الأخرى أخذا وعطاء ، تأثرا وتأثيرا . لقد حمل العرب قيم الإسلام العليا ومثله السامية وأخذوا في نشرها وتعميمها في كل أرجاء الدنيا، وبدأت عملية التفاعل بينها وبين الحضارات الفارسية والهندية والمصرية والحضارة الأوروبية الغربية فيما بعد ، ومع مرور الزمن وانصرام القرون نتجت حضارة إسلامية جديدة أسهمت في إنضاجها مكونات حضارات الشعوب والأمم التي دخلت في الإسلام، فاغتنت الحضارة الإسلامية بكل ذلك عن طريق التلاقح والتفاعل، وكانت هي بدورها فيما بعد عندما استيقظت أوروبا من سباتها وأخذت تستعد للنهوض مكونا حضاريا ذا بال أمد الحضارة الأوروبية الغربية بما تزخر به من علوم وقيم وعطاء حضاري متنوع.

ذات الشيء يمكن قوله عن الحضارة الغربية التي لم تظهر فجأة بل تكونت خلال قرون عديدة حتى بلغت أوجها في عصرنا الحاضر وذلك نتيجة التفاعل الحضاري مع حضارات أخرى هيلينية ورومانية وغيرها، وبفعل التراكم التاريخي وعمليات متفاعلة من التأثر والتأثير خلال التاريخ الإنساني الحديث.

إن أكبر دليل على أن الحضارة الإسلامية لم تسع في أي وقت من الأوقات إلى التصادم مع الحضارة الغربية كما ينذر بذلك أصحاب نظرية الصدام الحضاري هو أن العرب والمسلمين لم يضعوا في أي زمن من الأزمان صوب أهدافهم القضاء على خصوصيات الحضارة الغربية وهويتها الحضارية، كما نجد الفكر العربي والإسلامي قد اتجه بانفتاح وقوة صوب التراث الغربي للاستفادة منه وتطويره، لقد كان هنالك فعلا استجابة سريعة للحضارة العربية الإسلامية في تفاعلها مع الحضارة الغربية، وهذ ما لا نلمسه في الحضارة الغربيةالتي لا تسعى إلى الاستفادة من تراث ومعطيات الحضارات الأخرى.

الصيام ضبط للنفس وشحذ للعزيمة

■ الأستاذ: عثمان بن خضراء

■ يكثر في شهر رمضان المعظم عن رمضان الأكرم حديث الألسنة وحديث الأقلام. والموضوع المتحدث عنه قابل للإضافة لأنه موضوع ديني ومظهر روحي، والمواضيع الدينية الروحية لم تزل ولن تزال مبعث شعور فائز، منبع عواطف خصبة، الأمر الذي يدل دلالة قوية على معجزة الفكر الدينية الحقة التي تزداد مع الأجيال قوة وإقبالا، وتزداد مع التقلبات تجددا أو ارتياحا.

وإذا صح أن نعتبر فكرة الصوم الخصبة كجزء من الديانة الإسلامية، فينبغي أن لا يغرب عنا ما تكنه من خصوبة كل الأجزاء الأخرى، أو بالأحرى كل الذرات التي تكون جسم الإسلام البديع المدهش.

وللصيام عند رجال الدين حكم يختلفون فيها ويستكثرون منها تكبيرا لخطره وتعظيما بما شعربه الفقراء المعوزون.

. أو أنه تكفير عن الذنوب بتعذيب الجسد الذي اجترع تلك الذنوب.

. أو أنه تطهير للجسم واستجمام له من آفات الطعام والشراب.

. أو أنه رياضة للجسم على احتمال مايكره والصبر على ما يحب

وهذه هي الحكم الجديرة بهذه الفريضة التي لولم يفرضها الدين لوجب على كل إنسان أن يفرض على نفسه لونا من ألوانها وأن يأخذ بطريقة من طرائقها لرياضة النفس وتقوية الإرادة.

يقول الأستاذ الخبير فريد وجدي في كتابه « دائرة المعارف » : «ذكر العلماء للصيام حكما متعددة، وعندنا أن أولى تلك الحكم بيانا أثره على الإنسان في رياضة النفس وثمرته في تخليصه من سلطان المادة، فالإنسان جسد وروح ألف الخالق بينهما على اختلاف طبيعتها إلى مدى محدود. فمن الناس من تتسلط المادة عليه فتدفعه في تيار الرغبات الجسدانية وتزج به في غمرات الشهوات البدنية فينقلب بهيما محضا يعيش ليأكل، وما هي إلا سنين حتى يدركه الهرم، ويقعد به الضعف فيموت ميتة الحيوان الأعجم، لم يحصل من جهاده الدنيوي نورا يعرج به إلى العالم الذي سيتحول إليه!

والذي يلفت النظر أن تجرد الإنسان لإشباع شهواته المادية وإغفاله لكلماته الروحانية تجر عليه وعلى نوعه أكبر الجرائم. ذلك أنه لم يخلق كالحيوان محدود المطالب، معروف الرغائب حتى يكون ما يحصل من حطام الدنيا كافيا لسد أطماعه. ولكنه خلق مطلق القوى، بعيد مدى الغايات، فشرع الإسلام الصيام رياضة للنفس لتستقيم عن منهاجها السوي، فتعدل عن بذل قوامها لمزاحمة الغير والتسلط عليه بغير حق إلى بذلها لتطهير نفسها والتسلط على إرادتها فكيف يحقق الصيام هذه الرياضة النفسية؟ . ثبت بالتجارب المتكررة أن التقليل من الطعام يغلب صفات الروح على صفات الجسد فيزداد العقل إشراقا والذكاء حدة والنفس هدوءا والإرادة قوة، فشرع الإسلام الصيام لإحداث مثل هذه الحال على متبعيه. ومن منا لا يحتاج لإرادة قوية وعزيمة ماضية؟ وهل بلغ الصحابة مبلغهم من الصبر على الشدائد والثبات على المبادئ فتغلبوا على أمم المعمور إلا بهذه الرياضة النفسية!

يقول الشيخ الطنطاوي جوهري في تفسيره : «الجواهر» إن الله تبارك وتعالى ما ترك الأمم السالفة والأجيال البائدة بلا تأديب وتهذيب، فأوجب عليهم أن يتجنبوا التغالي في الشهوات والإكثار من الطعام، فإن النفوس الإنسانية لها عروج إلى الملأ الأعلى إذا ما عفت عن الطعام واقتصدت في الشهوات. فلم يدع الله أمة إلا أدبها ولاترك جيلا إلا أنذره وحذره... الخ» ويقول الأستاذ أحمد حسن الخطيب في كتابه « فقه الإسلام» الصوم وقد شرعه الله تعالى ليغرس في قلب المؤمن التقوى، فيربي فيه الصدق في خشية الله سبحانه ومراقبته والصبر واحتمال المشاق، والقناعة، وضبط النفس، وقوة الإرادة، ويرقق الشعور والوجدان ،، فيعطف الصائم على الفقير والضعيف، ويؤتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين.

وبالصوم الشرعي المركب من أعمال القلب، والمنع من الأكل والمشارب وغيرها سكون النفس الأمارة بالسوء وقهرها وكسر شهوتها وصفاء القلب من الكدر، هذا إلى ما فيه من الفوائد والمنافع لصحة البدن والجسم في بابي الوقاية والعلاج. »

ويقول الأستاذ الكبير عباس محمد العقاد في كتابه « فلسفة القرآن »

« والصيام في مظهره الاجتماعي يعطينا مظهر أسرة عظيمة، من مئات الملايين تنتشر في جوانب الأرض وتقترن شعائرها الدينية كل يوم بأمس ما يحس به الإنسان في معيشته اليومية. وهو أمر الطعام والشراب ومنع الأجساد لملايين من الناس في جوانب الأرض: يطعمون على نظام واحد ويمسكون عن الطعام على نظام واحد، ويستقبلون ربهم على نظام واحد، وقلما انتظمت أسرة بين جدران بين على مثل هذا النظام.

أما الفرد فيستفيد منه خير ما يستفيده الإنسان في حياته الروحية أو حياته الخلقية: وهو ضبط النفس وشحذ عزيمتها وقدرتها على الفكاك من أسر العادات وتطويع الجسد لدواعي العقل والروح. والصيام الإسلامي هو إحدى ضروب الصيام في تحقيق هذا المقصد لأنه يجدد القدرة على ذلك كل يوم مدى شهر من شهور السنة ولا يكون قصارى إلا نقلة واحدة من عادة شهور إلى عادة شهور»

لا جرم أنه بمثل هذا الصيام يحقق الإنسان لجسمه وروحه أكمل الرياضات وأعودها عليهما بالفائدة فيخرج من رمضان أقوى إرادة وأطيب نفسا وأكثر على شدائد الحياة صبرا. فأهلا برمضان ومرحى بنسماته الشذية المنعشة للأجسام والنفوس.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1041
السنة 36
الجمعة 12 رمضان 1424 هـ
الموافق 7 نونبر 2003 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لاراباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1041 الجمعة 12 رمضان 1424 هـ . الموافق 7 نونبر 2003م

أمير المؤمنين يترأس انطلاق الدروس الحسنية الرمضانية لعامه 1424هـ

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية يقول في درسه: آن الأوان لتحيين شروط الناهين عن المنكر، وصفات المنهيين، والأمور التي يتم النهي عنها في دولة العدل والمؤسسات

تراس أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس حفظه الله انطلاقة الدورس الحسنية الرمضانية لعامه 1424 وقد ألقي الدرس الافتتاحي بين يدي جلالته من طرف وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية أحمد التوفيق في موضوع « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من هدي القرآن إلى وازع السلطان » إنطلاقا من قوله الله تعالى: « ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره. إن الله لقوي عزيز الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور» سورة الحج الآيتان 40 و41.

وقد اختار أحمد التوفيق كمدخل للموضوع، البحث في أصل وكنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة.

وتوقف بداية عند ملاحظة تتمثل في اقتران ذكر النهي عن المنكر والأمر بالمعروف في الآيات الكريمة بذكر ركنين أساسيين من أركان الإسلام وهما الصلاة والزكاة وهو ما يؤشر على مركزية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الدين.

وأشار إلى اختلاف المفسرين حول معنى «دفاع الله الناس بعضهم ببعض» في الآية الكريمة التي شكلت أساس موضوع الدرس مستعرضا مختلف التفسيرات التي أوردها الطبراني الذي خلص إلى القول بأن أولى الأقوال في ذلك بالصواب أن الله تعالى أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض لهدم ما ذكر من دفعه تعالى بعضهم عن بعض فكفه المشركين بالمسلمين عن ذلك ومنه كفهم ببعض عن التظالم فالسلطان الذي كف به رعيته عن التظالم فيما بينهم فلولا ذلك لتظالموا فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبيعهم.

واستنتج السيد التوفيق من خلال تقديم تفسير قوله تعالى: الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ، أن الأوائل اعتبروا أن المعروف الأكبر يتمثل في الدعوة إلى التوحيد والاخلاص لله وحده والمنكر الأكبر هو الشرك بالله.

وأضاف ، أنه يمكن في هذا العصر أن يفهم المسلمون أن التدافع بين الناس هو ذلك الذي يبعدهم عن المنكر والظلم موضحا أنه يمكن فهم هذا التدافع على المستوى الكوني فيما يعرف بالتوازن الدولي الذي يقوم على أساس السلم المسلح فيما يكمن فهم هذا التدافع على مستوى البلد الواحد بكونه توازن بين قوى يمكن لبعضها أن يكف ويردع البعض الآخر.

وقال المحاضر، إن هذا التدافع لا يتأتى بالتي هي أحسن إلا داخل «النظام الحديث الذي تدرج إليه الناس عبر محن كثيرة وهو النظام السياسي المتعدد الاقتراحات والاجتهادات.»

وفي معرض تقديمه للأحاديث التي تشير بدورها إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر توقف السيد التوفيق عند الحديث الشريف « من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»

وبعد أن لاحظ أن شرح هذا الحديث شغل أهل المذاهب والفرق الاسلامية على امتداد القرون ذكر المحاضر بأن الصالحي أكد في كتابه «الكنز الأكبر» أن هذا الحديث نص على ثلاثة مراتب من تغيير المنكر أولها تغييره باليد وهو مخول لمن له سلطان وإزالته باللسان وهو خاص بالعلماء وبالقلب وهي مرتبة خاصة بمن ليس له سلطان ولا علم وهو أضعف الإيمان.

وذكر السيد التوفيق ، أنه إذا كانت قد نشأت عن مباشرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو المستند الشرعي الأساسي لما يسمى اليوم بالمشاركة السياسية فتن ومحن وأزمات سالت فيها دماء كثيرة فإن النقاش حول شرعيتها وكيفيتها أسال بدوره مدادا كثيرا.

وأكد أنه بالنظر إلى الملابسات التي أحاطت بهذا النقاش لم يكن من الممكن أن يخضع للمنطق المطلق حيث أنه عكس مواقع أصحابه في الدولة ومن الدولة.

غير أن الأئمة المؤسسين، يضيف المحاضر. وعلى اختلاف حماسهم في التعاون مع الدولة أجمعوا على أن تغيير المنكر بالسلاح أو تغييره باليد هو من اختصاص الأمير أي الحكومة وليس لأحد أن يقوم بذلك ما لم يكلف به أو ينتدب إليه غير أن اجتهادات بعض المتأخرين عن العهد الأول أجازت للأفراد تغيير المنكر باليد لاسيما في حالة الشغور في حالة وجود فراغ في السلطة.

واعتبر التوفيق أن خطوة هذا الاخلاف تكمن في كون النهي عن المنكر لم يكن يستهدف الاشخاص العاديين المنحرفين بل كان يستهدف على الخصوص اصلاح المنحرفين من الحكام إما بالوعظ القولي من الذين لا يخافون في الله لومة لائم أو بالمواجهة التي قد تتحول إلى صدام وتمرد.

وبالنسبة للمذهب المالكي أشار السيد التوفيق ، إلى تنوع الآراء داخله بهذا الخصوص حيث أنه بالرغم من كون المالكية نشأت في بيئة حضرية يفترض أن توجد فيها سلطة قوية نسبيا فإن الدعوات الأولى في قبائل المغرب كانت لها طموحات سياسية.

وأضاف أن تلامذة الإمام مالك سألوه عن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فشجعهم في بعضها ووافق على بعضها الآخر لكنه اشترط دائما الرفق وعدم التعنيف.

وذكر التوفيق بالمؤسسات التي تقوم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الدولة الإسلامية وعلى رأسها قضاء حر متعدد الاختصاصات يمتزج مع خشية الله ومنه ديوان المظالم الذي يتولى مراقبة العمال والولاة وغيرهم من المسؤولين وكذا الحسبة.

وأكد التوفيق أن المتأمل للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولشروطه وأركانه وآدابه سيجده نسقا عاليا من تعبئة القرآن للمسلمين للإصلاح الفردي والجماعي الدائم بهدف إعانة الدولة إن كانت عادلة ومحاسبتها إن كانت مقصرة. كما أن المتأمل سيجد أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو الشغل الشاغل للدولة الحديثة حيث أن القوانين التي تصدر تتوخى إما الأمر بالمعروف أو النهي عن المنكر.

وأشار إلى مجموعة من النقاط المتعلقة بتحيين شروط الناهين عن المنكر وصفات المنهيين والأمور التي يتم النهي عنها في دولة العدل والمؤسسات وتتمثل في كون أنه لو انطلق المكلفون المسلمون من عقيدة وجوب النهي عن المنكر والأمر بالمعروف لما عانوا من العزوف عن المشاركة في الانتخابات.

وفي ما يتعلق بالانماط الثلاثة لتغيير المنكر فيحسم فيها بتفويض استعمال القوة للدولة مع مراقبتها وانتداب قائمين على التغيير بالقانون قولا وحسبة ممثلين في المؤسسات المحلية والوطنية.

كما يمكن التحيين من إعادة الاعتبار للمرأة في تحمل واجبها ومسؤولياتها في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإعادة الاعتبار للعامة من خلال تذكيرهم بمسؤولياتهم في هذا الإطار أيضا وإعطاء العلماء دورهم الروحي والإرشادي الريادي والمصالحة بين الضمير الاسلامي ودولته لا من جهة الخوف من الفتنة بل من جهة ارتجاء الأمر بالمعروف وضمان الحماية من المنكر والاطمئنان إلى الإجراءات التخليقية وتغليب الأمر بالمعروف حتى يصبح النهي عن المنكر مجرد اجراءات لحفظ الأمن والطمأنينة وتعريف الناس وخدام الدولة خاصة بالآداب الاسلامية للنهي عن المنكر . وأضاف التوفيق ، أن هذا التحيين مشروط بالاجتهاد في سبيل إقناع المتمسكين بالتراث مخالفة الفساد والفتنة وذلك في قضايا كمفهوم الحرية وتوسيع مفهوم الحياة الشخصية الخاصة والموقف من بعض المنهيات التي لا يجب تعميم الحكم التراثي بشأنها كالموسيقى .

وفي ختام هذا الدرس، تقدم للسلام على أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس الشيخ محمد السيد طنطاوي الإمام الأكبر شيخ الأزهر الشريف ومحمد عبد الرحمن الراوي من علماء مصر . كما قدم وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية لأمير المؤمنين ، نسخة مطابقة للأصل لمخطوطه لدلائل الخيرات وهي ذات قيمة فنية عالية في الخط والتزويق مصورة عن مخطوط نفيس محفوظ بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية . وقد تم إنجاز هذه المطابقة للأصل بإذن من جلالة الملك ووقع إهداؤها بإذن جلالته إلى صاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير مولاي الحسن.